

مفهوم الحراك الاجتماعي:

لقد عالج ابن خلدون مسألتني الحراك والثبات وذلك بواسطة جدلية البدو والحضر حيث يرى أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهن في المعاش وكان حينئذ اجتماعهم (يقصد البدو) وتعاونهم في حاجاتهم و عمرانهم من القوت والسكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة هؤلاء هم الحضر ومن هؤلاء من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وارفه من أهل البدو لان أحوالهم تعتمد على الضروري من العيش¹

ويرى كذلك ان الحراك الاجتماعي هو الدرجة التي ، في اي مجتمع ، الفرد ، العائلة ، او المجموعة على المركز الاجتماعي يمكن ان يتغير طوال مسار حياتهم من خلال نظام التسلسل الهرمي الاجتماعي او الطبقي. وفي وقت لاحق ، وهو أيضا الدرجة التي يمكن للفرد او المجموعة أحفاد التحرك ان يصلوا اليها صعودا وهبوطا في النظام الطبقي. الدرجة التي يمكن للفرد التحرك من خلال نظام يمكن أن يستند إلى إنجازات وصفات أو عوامل خارجة عن سيطرتهم .

أما اوغست كونت a.conte فقد أشار إلى الحراك من خلال قضية هامة مؤداها انه توجد علاقة قوية وحتمية بين الملكية باعتبارها سلطة اقتصادية وأنواع السلطات الأخرى سواء كانت سلطة سياسية ام اجتماعية ومن ثم نجد مدى اهتمام كونت بمفهوم السلطة باعتبارها مظهر من مظاهر الشخصية بغض النظر عن نوعياتها الثلاث ، وهكذا يؤكد كونت على ضرورة امتلاك السلطة الاقتصادية والتي لا توجد بدورها في الواقع إلا بمشاركتها كامتلاك السلطة الاجتماعية فكليةما وجهان لعملة واحدة وتشير الوقائع والحقائق التاريخية إلى انه منذ القديم قد كان الحكام السياسيون غالبا ذوي سلطة اجتماعية واقتصادية في الوقت نفسه لامتلاكهم الثروة ورأس المال ومن ثم فإن امتلاك هذه العناصر تكون شيئا ملازما لامتلاك المكانة في المجتمع وأخيرا حاول كونت ان

¹ عبد العزيز رأسمال ، كف يتحرك المجتمع؟، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1999 ، ص 19 20 .

يصبغ تحليلاته بالطابع الأخلاقي من أجل خدمة الحفاظ على النظام الاجتماعي وضمان استمراره وبقائه حيث يؤكد على انه يجب على الأغنياء سواء كانوا من الصناعيين والرأسماليين والمديرين و أصحاب البنوك ان يوزعوا مسؤولياتهم الاجتماعية من اجل تحقيق أهداف النظام الاجتماعي¹.

أما محمد عاطف غيث فانه يشير إلى هذا المصطلح بقوله انه حركة الفرد أو الجماعة من طبقة اجتماعية أو مستوى اجتماعي إلى طبقة أو مستوى آخر ويشير الاستخدام المألوف لهذا المصطلح الى حركة أعلى و أدنى في نسق التدرج الطبقي ، ويشير باريتو الى هذا المصطلح عندما يطرح أفكاره حول اللاتجانس والتمايز الاجتماعي باعتبارها من الأفكار الهامة التي يجب ان يؤكد على تحليلها علم الاجتماع عند دراسته لاسباب حدوث الظواهر الاجتماعية واعتبرها أيضا جزءا من عملية التغير الاجتماعي فالنظام والتغير الذي يحدث فيه ظهر نتيجة مجموعة العوامل السيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتعددة ولا يمكن حدوث عمليات التغير على بعض العوامل الأحادية السبب وهذا ما رفضه باريتو بصورة قاطعة كما حرص أيضا باعتباره عالما اقتصاديا ان يوضح كيفية ظهور اللاتجانس والتمايز بين الأفراد والجماعات نتيجة لحصول كل منها على العناصر المادية بصورة متفاوتة في ضوء الفرص المتاحة في الواقع توفر ذلك عموما في إطار نظريته عن المنفعة والقيمة الاقتصادية التي تدفع حركة دائرية التغير الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وبالرغم من تأكيدات باريتو على هذه الآراء و الأفكار وان المجتمع الطبقي أمر محتوم لابد من وجوده باعتباره يشكل نوعا من الحقائق الواقعية الثابتة ومن أشياء و الأفكار التي يتعذر مناقشتها وتحليلها نظرا لبدايتها ووضوحها بصورة عامة، إلا أننا نلاحظ في نفس الوقت أن باريتو أكد أهمية وجود المجتمع او النسق الاجتماعي مفتوحا أمام الطبقات الاجتماعية حتى يحدث نوع من الحراك الاجتماعي ، أي يسمح انتقال الأفراد من الطبقات الدنيا أو السفلى الى الطبقات العليا ومن وإلى أي الطبقتين ويسمح بحصول أفراد الطبقات على الامتيازات التي تحملها

¹ عبد الله محمد الرحمان ، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1 ، 2006 . 145 146

أفراد الطبقات الجديدة وهذا بالفعل ما ناقشه باريتو في دراسة دائرة الصفوة والتغير الاجتماعي فلقد ركز باريتو على أهمية وشرط وجود المجتمع مفتوحا ليسمح بالحراك الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية لان ذلك شرط أساسي من شروط التقدم والتطور الاجتماعي¹

اما سميرة احمد السيد فقد أوردت تعريفا مفاده ان المجتمعات الصناعية تتميز بوجود تدرج هرمي للمراكز الاجتماعية تحدد على أساسه امتيازات الثروة والسلطة والقوة والمكانة وتزداد هذه الامتيازات بالارتفاع في سلم التدرج الهرمي والفرد في هذا النوع من المجتمعات يمكنه الانتقال من مراكز إلي آخر عن طريق وسائل تخضع لسيطرته الشخصية مثل الإعداد الأكاديمي والمهني والخبرة والحصول على الثروة والمنافسة. وبذلك يختلف هذا النظام عن النسق الطائفي او نظام الطبقات المغلق الذي يتحدد فيه المركز الاجتماعي للفرد بناءا على انتماء أسرته الى طبقة معينة ولا يمكنه التنقل من طبقة اجتماعية إلى أخرى . فالمزايا المرتبطة بالمراكز الاجتماعية العليا في المجتمعات ذات الطبقات الاجتماعية المفتوحة تشجع الأفراد على التنقل إلى مراكز اجتماعية عليا عن طريق تحسين وضعهم الاجتماعي عن طريق التعليم والخبرة او العمل والمنافسة . وعادة ما يتم الحراك الاجتماعي بين الأجيال نظرا لان كثير من الوظائف ذات المكانة المرتفعة والتقدير الاجتماعي تحتاج إلى سنوات عديدة من الإعداد الأكاديمي والمهني وقد يكون الحراك الاجتماعي أفقيا أي التنقل من مركز اجتماعي له نفس التقدير الاجتماعي والنفوذ او رأسيا أعلى أو أدنى الطبقة الاجتماعي او من طبقة اجتماعية الى أخرى وهو سلوك جمعي تقوم به جماعة لاقامة نظام اجتماعي جديد او معارضة تغيير نظام اجتماعي قائم تفضله لانتساقه مع مبادئها وقيمها ومعاييرها او تغيير نظام قائم لا يتفق مع مبادئها ومعاييرها²

¹ عبد الله محمد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه ، ص 355 .

² سميرة احمد السيد ، الرجع السابق نفسه، ص 151 ص 152 .

أما سوركين فيعرفه انه انتقالاً للأفراد او الطبقات داخل المجال الاجتماعي أما ميلر فيعمم المصطلح بقوله هو حركة ذات دلالة للمكانة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للفرد والتدرج الاجتماعي، اما ريمون بودون فيورد له تعريف في المعجم النقدي لعلم الاجتماع فيقول : يشير التعبير الى حركات الأفراد او الوحدات العائلية داخل نظام الفئات الاجتماعية المهنية او نظام الطبقات الاجتماعية كما يورد بعض المؤلفين تسمية وتوصف حركية الأفراد بصورة عامة بالحركية داخل الأجيال وبصورة أدق تدرس الحركية بين الأجيال العلاقة بين الوضع الأصلي للأفراد وموقعهم الخاص في نظام الفئات الاجتماعية المهنية ان هذا الشكل الأخير للحركية هو الذي استحوذ بصورة عامة على انتباه علماء الاجتماع¹

اما محمد حسن العميرة فيضع تفسيراً لمفهوم الحراك الاجتماعي بأنه انتقال حركة الفرد او الجماعة من مستوى معين او طبقة اجتماعية معينة الى مستوى او طبقة أخرى في التسلسل الهرمي للبناء الاجتماعي او داخل المستوى او الطبقة الاجتماعية الواحدة².

ومن هذه التعاريف يمكننا أن نستقي تعريفاً إجرائياً مفاده ان الحراك الاجتماعي هو انتقال فرد او جماعة من طبقة او مستوى او مهنة معينة الى طبقة او مستوى او مهنة أخرى ويكون هذا الانتقال تصاعدياً او تنازلياً وقد يكون افقياً ويتمثل في الحراك الاقتصادي والحراك الثقافي (الحراك بين الأجيال)

¹ ريمون بودون ، فرانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، المرجع السابق نفسه ، ص 277 .

² محمد حسن العميرة ، أصول التربية ، المرجع السابق نفسه ، ص 292.

3) اشكال الحراك الاجتماعي :

1-3) الحراك الثقافي : ان الثقافة دائمة التغيير ذلك ان جميع عناصرها تخضع لتطور مستمر ،وان كان تدريجيا غير واضح ،والتغيير يحدث كنتيجة لزيادة تعقد المجتمع في تنظيماته وعلاقاته ،ونتيجة للتغيرات الاجتماعية التي تتعرض لها المجتمعات وبخاصة مجتمعات العصور الحديثة ،حيث يبدأ التعارض والتناقض والصراع بين القوى الثقافية أي نتيجة للتغيرات الاجتماعية يحدث اضطرابا في النظم والعلاقة التي تنظم سلوك الأفراد ويظهر الصراع بين القديم وما يتفق معه من قيم واتجاهات وأنماط سلوكية مختلفة والجديد وما جاء به من أنماط سلوكية واتجاهات¹

ويتمثل هذا في المواجهة بين جيل الشباب والكبار حيث يمثل الشباب مراحل الحياة الإنسانية التي نجهل عنها الكثير فقد ساد الاعتقاد في مدة طويلة إنها مرحلة انتقالية فقط بل وما زال علماء الاجتماع والنفس يتخذونه وسيلة لتدعيم دراساتهم عن الإنسان المكتمل الشخصية وقد أدت هذه النظرة الى اعتبار سلوكياته ضربا من العبث ، الى أن ثار المصلح الاجتماعي (روسو) على هذا الاعتقاد الخاطئ بمقولته المشهورة : (ابدءوا بدراسة أطفالكم فأنكم من الأكيد لا تعرفونهم) وهذه المرحلة هي التي يتجه فيها الشاب بكامل كيانه نحو المستقبل ويتضح أمامه فجأة مجالات الثقافة المختلفة ونواحي الحياة الاجتماعية المتشعبة ، وهناك من يسمي مرحلة الشباب بمرحلة الرغبة في التفرد والأصالة وهذه الصفة هي أساس ما نلاحظه من صعوبات يلاقيها الشباب والمخططون للشباب.

فالشباب دائما يريد ان يحيى حياة يحقق فيها آماله ويصهر فيها ما حوله، وفي كلتا الحالتين يرى الكبار في ذلك خطرا، فالشباب اذا لم يأخذ بأيديهم فسوف يثورون على بيئتهم وعلى أنفسهم ان مظهر الغرابة والشذوذ في تصرفات الشباب لا يكون الا في أعين الكبار اما في أعين الشباب فليس هناك شذوذا مطلقا بل الشذوذ بالنسبة للشباب هو الخضوع للمألوف من الأوضاع والسير في ركب الحياة العادية على الروتين المعهود .

¹ محمد حسن العميرة ، أصول التربية، المرجع نفسه، ص 286.

فلا غرابة في ان كانت مرحلة الشباب مرحلة ثورة في كل أنحاءها ، ثورة من الناحية الجسمية وثورة من الناحية النفسية وثورة من ناحية التمرد على الوسط الاجتماعي . ان شعوبنا النامية الثائرة لن يكتب لها البقاء ولا النهوض بتراتها ما لم يكن حاملوا هذا التراث هم الشباب فالشباب اذا تخلى عن رسالته العلمية ولم يبذل جهده في إنماء هذا التراث والمحافظة عليه فانه يضيع ويتبدد وهيئات ان تستطيع استرجاعه بعد ان تصبح شعوبا قد غلبها الجهل على أمرها¹

وفي ضوء الانخفاض الهائل في معدلات دخول الأفراد فان ذلك يعني الحيلولة بين الشباب وبين إمكانية إشباع حاجاتهم الاقتصادية وما يترتب على هذا الإشباع من إمكانية إشباع حاجاتهم النفسية الممثلة في الزواج والاستقرار الأسرى فأوضاع لقمة العيش منهكة بالنسبة للأغلبية الساحقة من هذا الجيل بما يضمه من طبقات دنيا ووسطى ويعرف هذا الجيل جدلا مضطرا حول الهوية كما يعرف انشطارا ثقافيا بين الأقوياء والضعفاء داخل الصفوف ويفرض ذلك على هذا الجيل مسمى البحث عن العدل في الشأن الاجتماعي والبحث عن التبلور في الشأن الثقافي وكلا الأمرين يفترض وجود أصوات شابة معبرة عن مصالح جيلها حتى وان كانت مزعجة لبقية شركاء الكيان الاجتماعي والسياسي ولا بد ان يكون التمثيل هنا كافيا لا رمزيا ، فجيل الشباب لا يمثل قطاعا هامشيا بل هو القطاع الأكبر في المجتمع كله والاهم من ذلك هو نوعية المشاكل التي يتعرض لها الشباب بصورة مباشرة التي تستلزم تحاورا اجتماعيا وسياسيا يشارك فيه بصورة مباشرة أصحاب الشأن.

إن قائمة المشاكل الطويلة التي تتصدرها قضية التعليم كما وكيفا وقضية التوظيف ووجهها العكسي البطالة وقضية الإسكان نظاميا او عشوائيا وكلها قضايا تعني الشباب في المقام الأول تمثل مشاكله العينية الأولية ولعل هذا ما افرز العديد من المشاكل والتحويلات

¹ محمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1990 ، ص 48 49 40 .

التي تشهدها المجتمعات في السنوات الأخيرة من كثرة التطرف والإرهاب والانحرافات السلوكية والانتحار¹

وعلى الرغم من تأثير الضغوط الاقتصادية والاجتماعية على انساق القيم إلا أننا لا نستطيع إنكار الحقيقة التي تؤكد وجود واستمرار قيم كثيرة إيجابية تكونت لدى الأفراد تاريخياً، فالقيم لا تختفي اختفاء تاماً ولا تتغير بصورة كلية مع تغير الظروف المادية للمجتمع، حيث نجد أن هناك قيماً إيجابية راسخة تتصدى وتقاوم القيم السلبية الوافدة.

ففي كل مرحلة يمر بها المجتمع تظغى أو تسود أنماط معينة من القيم نتيجة لبعض الظروف إلا أنها لا تمحو كلية تلك القيم الإيجابية التي كانت سائدة .

فالقيم لا تتصف بالدوام المطلق وهي في نفس الوقت ليست دائمة التغيير . بمعنى أن الدوام المطلق للقيم يؤدي إلى استحالة التغيير على المستوى الاجتماعي والشخصي كما أن دوام تغير القيم وتبدلها يجعل من المتعذر استمرارية الشخصية الإنسانية والبناءات الاجتماعية والأنماط الثقافية .

ومن ثم فإن أي تصور للقيم الإنسانية يجب أن يأخذ في اعتباره كلا من السمتين المميزتين للقيم وهما الاستمرار النسبي والتغير النسبي.

ومن كل هذا نستنتج أن الحراك الثقافي يتمثل في ثلاث عمليات أساسية يعرفها علماء الانثربولوجيا بأنها :

- 1) عملية التأهيل: وتعني اكتشاف و اختراع عناصر جديدة في الثقافة .
- 2) عملية الانتشار : وتعني استعارة عناصر جديدة من ثقافات اخرى .
- 3) عملية إعادة التفسير : وتعني تهيئة عنصر قائم لمواجهة ظروف جديدة²

¹ نادية رضوان ، الشباب المصري وأزمة القيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1997 ، ص 326 .

² محمد حسن العميرة أصول التربية ، المرجع السابق نفسه،ص286.

2-3) الحراك الاجتماعي الاقتصادي

ومن أهم أسبابه النزوح الريفي الى المناطق الحضرية ومن أهم المداخل التي درست هذا النزوح مدخل الامتداد الريفي الحضري وهو يدور حول اعتبار الريف والحضر امتدادا واحدا حيث يمكن ان تلحظ تدرجا مستمرا بين ما هو ريفي وما هو حضري الأمر الذي يمكن معه ان نضع كل المقومات للإنسان ونتائج نضال مهما اختلفت خصائصه واحد حلقات تلك السلسلة المنظمة والمترابطة ولهذا نعتبر ان هذا المدخل الذي ينظر الى الريف والحضر على انهما علامتان على طريق واحد ومن هنا يعتبر هذا المدخل ان المدينة الحديثة ليست تجمعا لا معنى له من الناس والخدمات لان كل ساكن من سكان المدينة يدرك بطريقة ضمنية وغير رسمية ان هناك نوعا من النظام يحدد حركة الانسان والسلع من المدينة واليهما ولذلك تدرس الايكولوجية الإنسانية من بين ما تدرسه أشياء كثيرة التنظيم المكاني والزمني للمجتمعات الإنسانية ويمكن ان ننظر الى هذا الموضوع بطريقة أخرى نطبق عليها مقياس الزمان والمكان التي ينظر اليها على انها المقياس او المصادر الأساسية التي عن طريقها تنظم العلاقات الوظيفية بين الجموع الكثيرة التي تسكن المدينة¹

ويلاحظ الباحثون في المجتمع الحضري ان الأنظمة المكانية والزمانية للمدينة تكون نتيجة لمجموعة من العمليات الاطرادية من بين هذه العمليات أربع عمليات رئيسية تحدد النظام المكاني للمدينة وهي عملية التركيز او المركزية والفصل او العزل والامتداد والانكماش أما النواحي الحولية في النظام الزمني فهي الإيقاع والتوقيت ، يشير التركيز الى العمليات الاطرادية التي عن طريقها يظهر موطن الإقامة و ينمو اي أنها تتصور التغيرات التي تحدث في المجتمعات السكانية والتي تتمثل في العادة في كثافة موطن الإقامة فإذا كانت هذه التغيرات تشير الى فقدان السكان لكثافتهم فان هذا المظهر يشار إليه عادة على انه تخلخل ولهذا فان عمليات التخلخل والتركيز المشار إليها من زاوية أخرى على أنها مظاهر لنواح متعددة في إعادة توزيع السكان ، ولهذا نستطيع ان

¹ محمد عاطف غيث علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري) دار المعرفة الجامعية مصر ، ط1 ، 1995 ، ص 116 .

نسجل في مجال إعادة التوزيع اتجاهات نحو التمرکز داخل مناطق بعينها او الامتداد الى مناطق خارج نطق المدينة المعروف ؛ هكذا نستطيع ان نتبين ان حركة المجتمعات السكانية داخل المدينة لا تلتزم بأسلوب معين في كل المدن بحيث نستطيع ان نصل الى تعميم يمكن ان يطبق عليها جميعا¹

وتعرف مجتمعات المدينة أيضا تحركا آخر هو انتقال العامل من وسط الى وسط آخر يختلف عنه في كثير من الجوانب التي تمس لعمل وتنظيمه وقيمه وهذا الاختلاف بين الوسطين الاجتماعيين المتنقل منه والمتنقل إليه إضافة الى الظروف الاجتماعية التي يتم فيها هذا التنقل وهذا المفهوم للتنقل واسع جدا وشامل لكل أنواع الحراك كما يقصد بالحراك الجغرافي انتقال الناس على شكل هجرات دائمة او موسمية او مؤقتة فردية او جماعية من مجتمع لآخر ويقصد بالحراك المهني تغيير الناس لعمالهم من العمل الزراعي الى العمل الصناعي او العمل في مجال الخدمات او العكس ، وفي الحقيقة ان انتقال اليد العاملة الريفية الى الصناعة يصاحبه حراك اجتماعي حقيقي والذي يعني انتقال فرد او جماعة من مستوى معين الى مستوى آخر ، وقد كشفت بعض الدراسات ان هذه الأنواع من الحراك تزيد بمعدلات سريعة مع تزايد معدلات التنمية الاقتصادية وداخل جيل واحد والحراك قد ينطوي على كل أنواع الهجرة وهذا ما جعلنا نتطرق الى الفروق الريفية الحضرية اذ ان انتقال العامل الريفي الى العمل الصناعي معناه الانتقال من الريف الى المدينة وهنا تختلف كثير من القيم خاصة منه تلك المرتبطة المكانة حيث المكانة في الريف تكتسب من العائلة والانتساب بينما في المدينة تكتسب بنوع العمل والمستوى التعليمي وغير ذلك ، هذا الذي في الغالب يفتقده الريفي وبذلك فهو يفتقد المكانة التي كان يتمتع بها في الريف ويصعب عليه تعويضها في المدينة ، وان كان في الوقت الحاضر الاتجاه يسير نحو المكانة المكتسبة من المهنة سواء في الريف ام في المدينة بفعل التأثيرات المتبادلة بينهما، ويشير سوركين وزيمرمان إلى ان التحول من

1محمد عاطف غيث علم الاجتماع الحضري ، المرجع السابق نفسه ، ص 140.

المجتمع المحلي الريفي الخالص إلى مجتمع حضري لا يتم فجأة ولكن يحدث بشكل تدريجي فليس ثمة خط أوحده مطلق يستطيع أن يكشف لنا عن وجود فارق حاد بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري ويعنيا مجموعة من الفروق البيئية ، حجم المجتمع ، كثافة السكان و تجانسهم وتباينهم في شدة الحراك الاجتماعي والفروق في اتجاه الهجرة وشكل التباين الاجتماعي وانساق التفاعل . ولقد عاش تنقل اليد العاملة الريفية وهجرتها انعطافا وتحولا كبيرا ابتداء من 1970 تبعا للتحوّل في آليات هذه الحركة التي تطبعها بطابع يختلف عن الأول من حيث الأسباب والنتائج وتمثلت هذه الآليات في توزيع استثمارات التنمية بين المناطق والقطاعات بصفة ملموسة على مستوى الدخل والتشغيل والمثل على قطاعات أخرى ضرورية لاستقرار السكان ومن بينها المدرسة¹.

وبسبب هذا الآليات فان نمط الأسرة القروية قد اتخذ شكلا يتسم بالافتقار الى الانسجام ، كنتيجة لوجود نزعتين متناقضتين تحدث الواحدة منهما بصاحبة الأخرى وهما الازدياد الملحوظ والمسيطر في تطلعات الأفراد تلك التطلعات التي تتخذ من نمط الحياة الحضرية نموذجا لها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أنماط السلوك التي تفرضها طبيعة الحياة القروية والعمل الزراعي ، وفضلا عن ذلك فان نمط المجتمع الصناعي يعمل بدوره على تعميق ذلك الصراع وذلك في ضوء الزعم القائل ان تكييف الأسر القروية وتوافقها مع حياة المجتمع الصناعي سوف ينمو من خلال الأشكال الصناعية التي بدأت تميز أنماط الإنتاج ومنها العمل الزراعي نفسه²، وذلك ان الوظائف الإنتاجية التي تقوم بها الأسرة القروية هي السبب الحاسم في بقاء عملية التفسير الذي طرأ على نمط الأسرة ، فالميل الى ان تحمل المزرعة باستمرار ملامح المشروع الإنتاجي يتعارض دائما مع المطامح الجديدة لأفراد الأسرة . إذ أن نمو هذا المشروع يتطلب بالضرورة ان يكون هذا النمو مصحوبا بنمو مماثل في القوى العاملة والتجهيزات اللازمة للمشروع غير ان الحاجة الى إجراء تقييم لتلك الجوانب الاقتصادية على هذا المستوى قد أخذت هي

¹ محمد بو مخلوف ، اليد العاملة الريفية في الصناعة الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ط1 ، 1991 ص ص ، 56 57 59 . 60

² عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه ص ص 59/60

الأخرى تتزايد على الرغم من ان إمكانية تطبيق الكثير منها على مستوى المزرعة الصغيرة لا يزال محدودا واكثر من ذلك فإن الماكنة الزراعية لم تعمل على تخفيف عبء العمل على كاهل الأسرة ، بل إنها عملت فقط على تنظيم العمل وتحويل الجهد البشري الى بعض القطاعات التي لا يمكن ان تستغني عن العمالة البشرية ، وبإختصار فإن ملامح المشروع الذي أخذت تتزايد بالنسبة للزراعة تتناقض مع الأوضاع العامة للتغيير في الأسرة القروية الحديثة¹

بمعنى أنه حراك إنساني دائم يستوعب كافة نشاطات الناس بمختلف مهاراتهم ومبادراتهم وإبداعاتهم، الفردية منها والجماعية، فلا نكاد نرى سعيا بشريا في أيما مجال حياتي إلا ويحدوه أو يداخله حافز اقتصادي. ذلك أن الاقتصاد يرتبط ارتباطا وثيقا بأمر المعاش، من خلاله تيسر الأرزاق، تسديد الحاجات، تحقيق المقاصد.

و الحراك الاقتصادي الأمثل اليوم هو ذلك الجامع بين شذو الحافز الفردي من جانب وتأكيد الواجب الاجتماعي من الجانب الآخر، بين إطلاق الطموح الشخصي من جانب، وإحكام الانضباط الخلقى من الجانب الآخر، بين إتاحة فرص تحقيق المصالح الخاصة من جانب، ومراعاة استحقاقات المصلحة العامة من الجانب الآخر - وذلك في عموم المعاملات الجارية في الحراك الاقتصادي، دونما ضرر أو ضرار².

¹ محمد الجوهرى، علياء شكري ، علم الاجتماع الريفي والحضري ،دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1 ، 1996 ، ص 71 .

² صادق جواد سليمان /،، الاقتصاد والعمل المدني <http://www.annabaa.org/nbanews/66/400.htm> 2009/04/27

4 عوامل الحراك الاجتماعي

هناك العديد من العوامل التي تؤدي الى تحرك أفراد او فئات من المجتمع في السلم الاجتماعي نذكر منها :

4- 1 علاقة النظام التحتي للعائلة بالتعليم و أثرها على الحراك الاجتماعي: إن النظام التحتي العائلي يلعب دورا رياديا في التحكم في تقدم محركات اللامساواة، فالعائلة تكون نظاما تضامنيا كل عضو فيها يتقاسم مع الآخرين نفس القانون (الوضع) الاجتماعي الذي يحدد العائلة ويميزها. إذن فالعائلة لا تستطيع ألا تؤثر تأثيرا واضحا في الطموحات التعليمية لأطفالها، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن النجاح والحراك... الخ، ليس لهم معنى بالنسبة للفرد إلا ما له علاقة بالوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها. يقول ريمون بودون : "نسجل من هذا النقد اقتراح عادي من جهة وأساسي من جهة أخرى، فالمدلول الذي يعطيه فرد ما لمستوى مدرسي معطى يتراوح حسب الوضعية الاجتماعية لهذا الفرد".¹

4- 2. مستوى الإرث الثقافي : تعتبر الثقافة أساسا للوجود الإنساني بالنسبة للفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه. فهي توفر للفرد صورة السلوك والتفكير والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها، لا سيما في مراحل الأولى. فالثقافة لها صفة اجتماعية، فأعضاء المجتمع يشتركون في بعض التوقعات والآمال التي هي من نتاج تفاعلهم الاجتماعي والتي تصبح لهم بمثابة معايير خلقية واجتماعية، كما أنها توفر كذلك للأفراد المعاني والمعايير التي يميزون على ضوئها بين الأشياء والأحداث. وتعتبر الأسرة الوعاء الثقافي الأول الذي يشكل حياة الفرد ويتناوله بالتربية بما فيها من علاقات وأنماط ثقافية تعبر عن الثقافة الأم. معنى هذا أن الطفل ينظر إلى الميراث الثقافي الأول من وجهة نظر أسرته كما أن اختياره وتكوينه للأشياء يتأثر بنوع اختيار أسرته وتكوينه لها، هذا إلى أنه يتأثر بنوع الآمال التي تضعها الأسرة لمستقبلها ومستقبل أعضائها ، بل إنه كثيرا ما تفرض آمالها ومثلها العليا على أطفالها وكثيرا ما يكون هذا الفرض مصحوبا بانفعالات أكثر مما يوجد في واقع الثقافة.

¹ ، عبد النور إدريس نظرية الاستراتيجية الفردية بين الميكانيزمات العامة والخاصة وسوسيولوجيا التربية، <http://www.arab/>

إن شرح اللامساواة أمام التربية انطلاقاً من اختلافات قيم الرأسمال الثقافي المنتقل للطفل من طرف عائلته أصبح معروفاً كما يظهر واضحاً، فتأثير الإرث الثقافي على النجاح المدرسي للطفل¹ وبشكل أكثر وضوحاً تبين أن المستوى الثقافي للعائلة يجب اعتباره بعداً رئيسياً للقانون الاجتماعي للعائلة، إذ أن الرأسمال الثقافي المعطى للعائلة من طرف الأسرة يحدد كثيراً الرأسمال المدرسي. فانطلاقاً من تفسير أجيرار. للعلاقة الإيجابية الملاحظة بين مردود الآباء والنجاح المدرسي، يكون النجاح أكبر كلما كان المردود مرتفعاً. ويتساءل ريمون بودون عن التفسير المباشر لوجهة النظر هاته، والافتناع بأن ضمان اقتصادي أكبر إنما يقود الآباء إلى التفكير في متابعة الدراسة وتشجيع اندفاع الطفل نحوها. إن هذا التفسير نسبي من حيث أن هذه العلاقة تزول بين المدخول والنجاح المدرسي عندما نأخذ بعين الاعتبار أطفالاً ناشئين لدى عائلات لها نفس المستوى الثقافي. تبين هذه النتيجة، أن العلاقة بين المدخول والنجاح إنما يعود إلى أن مستوى ثقافي مرتفع بشكل عام، إنما يتوافق مع معدل دخل أكثر ارتفاعاً، ولكن في الواقع حسب ريمون بودون : ”أن المستوى الثقافي للعائلة هو المسؤول عن النجاح المدرسي للطفل“ نموذج بودون لتفسير هذا المعطى :

الشكل-1- مستوى ثقافة الأسرة ↓ ↓ مدخول النجاح المدرسي لدى الطفل

الشكل -1- يفسر العلاقة بين مدخول العائلة ونجاح الطفل مدرسياً كما يبين هذا النموذج كيف أن العلاقة الإحصائية بين المردود والنجاح المدرسي يجب ألا تفسر مباشرة، وإنما هي نتيجة لنظام من العلاقات يميز المتغيرات الثلاث صاحبة العلاقة. ومع ذلك أظهرت الأبحاث كم هي متغيرة الاستهلاكات الثقافية وفق الطبقات الاجتماعية، وكم تتبدل نظراً لمستويات التربية والرساميل الاقتصادية والثقافية. فالاستراتيجيات الفردية تتطور بشكل متفرق، ولا تتجمع إلا إحصائياً، لكنها تساهم، ديناميكياً، بتجدد التمايزات الاجتماعية. كما أن الحقل الثقافي يعمل كنسق تنظيم، يقدم للعملاء الاجتماعيين فرصة وضع استراتيجيات

¹ عبد النور إدريس ، المرجع السابق نفسه

التمييز ضد أفراد الطبقات الأخرى¹. إن الرهان الأخير لهذه الصراعات هو بالتأكيد الفوز بإقرار شرعي يصاغ في نهاية المطاف كإقرار شرعي بالسيطرة. فالتوزيع اللامتكافئ للرأس المال الاقتصادي، كما التوزيع اللامتكافئ للرأس المال الثقافي لهما قاسما مشتركا رغم اختلاف الوسائل؛ هو تأكيد شرعية كل طرف في امتلاك الثروات الثقافية، ويظهر أصحاب الرأس المال الاقتصادي البذخ في امتلاك الدلائل الثقافية المشروعة، كالقيام بالأسفار واقتناء الثروات الثقافية: (لوحات الرسامين الكبار أو اقتناء الفيلات والسيارات الفخمة... الخ). بينما يظهر ذوو الرأس المال الثقافي تمايزهم عن طريق ارتباطهم بكفاءاتهم النوعية بالانخراط في القراءات والمطالعات والميل إلى سماع الموسيقى الكلاسيكية أو ارتياد الحفلات الشعرية والمسرحية...

3.4 مسألة الحراك المهني وارتباطه بالحراك الاجتماعي: يتصدى علماء التربية لمفهوم التكافؤ في الفرص التعليمية يجدون من واجبهم أيضا أن يشيروا إلى مفهوم التكافؤ في الفرص المهنية -التوظيف- وبالتالي إلى ارتباط المفهومين وانعكاس مضمون كل منهما على الآخر. إن التلازم بين هذين المفهومين يطرح بدوره مشكلات فلسفية وسياسية واجتماعية على درجة كبيرة من الأهمية والتعقيد والشمول. ويلاحظ هوسن Husen أن معالجة هذا المفهوم لتكافؤ الفرص التعليمية تؤدي على المستوى السياسي إلى استنتاج أنه من غير المفيد أن نجعل الفرد مسؤولا عن نجاحه أو فشله في الدراسة. إن ثقل هذه المسؤولية يجب أن يتحمله النظام بأكمله: (النظام المدرسي أو النظام الاجتماعي الاقتصادي). (فالقول بأن التربية أداة موضوعية لتصنيف الناس وانتقائهم حسب مهاراتهم المعرفية قول يترتب عليه نتيجة أيديولوجية مؤداها أن نجاح الفرد في المجتمع أو فشله مرهون بنجاحه أو فشله في التربية. وذلك القول ينطوي على إقناع زائف للمواطن بأن شكل المجتمع وبنية النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه بريئة تماما من أي فشل يتعرض له، فالفشل إنما سيكون فشله هو نفسه في اقتناص الفرصة المتكافئة التي توفرت له في المدرسة والقول بأن المعرفة التي تقدم في المدرسة تؤثر في رفع المستوى

¹ عبد النور إدريس، المرجع السابق نفسه

الاقتصادي للفرد والمجتمع هو نمط من أنماط الأيديولوجيا التي تزيّف الوعي الاجتماعي على مستوى الفرد والمجتمع. و سترتب على هذا الطرح نتيجة مغلوبة فحواها أن مشكلة الفقر التي تعاني منها الطبقات الدنيا في المجتمع هي مشكلة فقر في امتلاك المعرفة وليست مشكلة استغلال اقتصادي تعاني منه هذه الطبقات. وبالمثل فإن مشكلة التخلف في الدول الفقيرة ستصبح -حسب الطرح الأيديولوجي- مشكلة تربية تعالج عن طريق الإصلاح التربوي وبالتالي يتم اختفاء حقيقة التخلف الحقيقية المعتبرة أن فقر دول العالم الثالث هو نتيجة نهب استعماري (ظاهر ومستتر) منظم وممنهج لقدرات و ثروات الشعوب المستعمرة¹.

4-4 الهجرة : الهجرة ظاهرة اجتماعية وجدت وما زالت توجد في كل زمان و مكان وتعني الارتحال من وطن وتركه الى غيره مدة قد تقصر او تطول وتمتد لتشمل الحياة بأكملها وبمعنى آخر هي تعني انتقال شخص من منطقة جغرافية أخرى بقصد تغيير مكان الإقامة الدائم وهي كذلك كل حركة عبور الحدود ما عدا الحركات السياسية²

يقول nengalam ان كل مجتمع يمر بمرحلة من من مراحل التغيير الاجتماعي يوضحها اختلاف وضع المجتمع ونظامه الاجتماعي في فترتين مختلفتين وذلك بالنسبة للتغيرات في انساقه الثلاثة واعني بها النسق الثقافي والاجتماعي ونسق الشخصية وفي هذه العملية تأخذ الهجرة دورها الرئيسي الذي هو حفظ التوازن الديناميكي للنظام الاجتماعي عند الحد الأدنى من التغيير وفي نفس الوقت تعطي أعضائه طرقاً ليتخلصوا من حرمانهم وان الهجرة تؤثر وتتأثر بالنظام الاجتماعي لكل من منطقتي الجذب والطرْد وكذا فالقيم الثقافية و أهداف المهاجرين ومعاييرهم تتغير أثناء الهجرة ونسق الهجرة يشمل على ثلاثة عناصر هي مجتمع المنطقة الأصلية ومجتمع منطقة الجذب ثم المهاجرين أنفسهم وهذه العناصر تكون كلا متسانداً تسانداً ديناميكياً³

¹ علياء شكري العسالي، المنهج وعلاقته بالتغيير ، www.google.com 2007/10/10.

² حسين عبد الحميد رشوان ، مشكلات المدينة ، المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع ، ص 65

³ عبد الغني غانم ، المهاجرون دراسة سوسيوأنثروبولوجية ، المكتب الجامعية الحديث ، مصر ، ط2 ، 2002 ، ص 32 .

وترجع عمليات الهجرة من القرية إلى المدينة إلى العديد من العوامل أو الدوافع التي تتخذ أساسا للاتخاذ قرار الهجرة وهي قد تكون طبيعية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو سكانية، وتدور الأسباب الاقتصادية حول عدم وجود عمل مناسب وعدم كفاية الدخل، أما الأسباب الاجتماعية فتتمثل في الخلاف العائلي والزواج من الخارج ونقص العمليات التعليمية، وقسم بعض العلماء العوامل التي تؤدي إلى الهجرة إلى مجموعتين من الأسباب عوامل جاذبة، وأخرى طاردة، أي ما يعرف بالتركيز والتخلخل وهما يشيران إلى التغيرات في التوزيع المكاني للسكان أي تغير الكثافة السكانية وتجذب عوامل الجذب من المهجر المهاجر إليه مما يؤدي إلى التركيز، أما عوامل الطرد، فهي التي تدفع الإنسان في التفكير في الهجرة، والانتقال من مكان إلى آخر مما يؤدي إلى التخلخل ولكن التوازن بين هذه العوامل يختلف بطبيعة الحال من فرد إلى آخر ومن إقليم إلى آخر ونذكر على سبيل المثال بعض هذه العوامل:

1-4-4 العوامل الطاردة:

(أ) العوامل الطبيعية: ذات أهمية بالغة في عملية الهجرة فالمناخ القاسي والترربة الفقيرة تحمل سكانها على الهجرة

(ب) فترة الفراغ بين المحاصيل الزراعية يؤدي إلى الهجرة

(ج) يعد التضخم السكاني في المناطق الريفية عاملا رئيسيا من عوامل الهجرة

(د) البطالة الناتجة عن عدم كفاية الأرض والميكنة تتسبب في الهجرة للسكان العاطلين

(هـ) الحرية الناتجة عن سقوط النظام الإقطاعي للفلاحين تسمح لهم بالانتقال حيث يشاءون

4 - 4-2 عوامل الجذب:

(أ) احتياج المدينة إلى الأيدي العاملة بسبب الثورة الصناعية

(ب) الاستقرار و الأجر المرتفع للعمل الصناعي

(ج) النشاط العمراني للمدينة

(د) استئثار المدينة بتنسيق الخدمات والتنظيم الذي حظيته من الحكومات

(هـ) انتشار الجامعات والمدارس والتوسع في التعليم

و (تمتع المدينة بحياة الرفاهية ومظاهر التحضر المختلفة¹

4-5 التحولات السياسية : إن روابط السلطة المتغيرة والأنماط الجديدة لتوزيع المنتجات والحركات الاجتماعية الكبيرة يمكنها كلها أن تغير معالم الأسرة ووظائفها ويمكن ملاحظة هذا بوضوح في بلاد أوروبا الشرقية، حيث حققت الأحزاب الشيوعية تحولا أساسيا في الروابط الاقتصادية والاجتماعية بإلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وتركيز الإنتاج والخدمات في وحدات كبيرة ، تغير الوضع الاجتماعي للغالبية العظمى من الشعب والأشخاص الذين كانوا مضى يزرعون أرضهم او يعملون في حانوتهم اصبحوا عمالا أجراء، ولم تصبح الأسرة وحدة الإنتاج للجماهير العريضة وهذا الأمر غير المعاملات المتبادلة فأصبحت محدودة في الزمان والمكان ومتخصصة في طبيعتها، أما الأطفال الذين كانوا يرثون فيما مضى مزرعة الأسرة أو حانوتها أو يعاونون الأسرة اصبحوا عائقا لها من الناحية الاقتصادية²

4-6 التدرج الاجتماعي : ويشير التدرج الاجتماعي إلى الفروق في الملكية الخاصة والدخل والفروق في الهيبة والاحترام والفروق في القوة والنفوذ، والواقع ان التمييز بين هذه الفروق يتم على المستوى النظري فقط اذ أنها تتداخل وتتطابق في الحياة العملية ومن ثم فإننا نستطيع من الناحية النظرية أيضا ان نرتب الناس على كل بعد من هذه الأبعاد (الطبقة والهيبة والقوة) فإذا استطعنا ان نحصر ثروة كل شخص او كل عائلة في حي من الأحياء فإننا نستطيع أن نرتبهم على أساس طبقي فنقول إن الأكثر ثروة مثلا يمثلون الطبقة العليا والمتوسطين يحتلون الوضع المتوسط على المقياس بينما نضع الآخرين في الوضع الأدنى على أساس كمية الثروة التي تمتلكها كل مجموعة من تلك المجموعات ، ويمكن نظريا أيضا أن نرتب الناس على أساس الاحترام والهيبة التي يحظون بها في المجتمع ، وعلى أساس نفوذهم وقوتهم بالرغم من صعوبة قياسها إذا قورنت بالطبقة أو

¹ حسين عبد الحميد رشوان ، المرجع السابق نفسه ، ص 67 68

² نادية رضوان المرجع السابق نفسه ، ص 66

الثروة ذات الوجود الموضوعي المادي فالهبة والاحترام لا يمكن عدّها وإحصائها كالنقود لكنها غالباً تكون أشكال من التقدير الاجتماعي التي يخلعها المجتمع على الأفراد¹

¹ محمود عودة ، المرجع السابق نفسه ص206

4- التيارات السوسولوجية والحراك الاجتماعي

نتيجة لتباين رؤى الباحثين حول ظاهرة التمايز والتدرج الطبقي وتحرك الفرد داخل المجتمع تبلور في إطار علم الاجتماع ثلاث تيارات أحدهما رجعي يعتد بظاهرة اللامساواة الاجتماعية ويشدد عليها والثاني راديكالي تقدمي يؤمن بإمكانية تحقيق المساواة الاجتماعية وتدعيم أركانها وثالث يقع في موقع الوسط بينهما هو يعترف اللامساواة ويجعلها في خدمة المجتمع أما التيار الأول فيندرج تحت ما يعرف بنظرية التكامل الاجتماعي تلك التي تمثل بشكل أساسي في تحليلات الوضعية والبنوية الوظيفية في حين يندرج التيار الثاني تحت ما يعرف بنظرية الصراع أما الثالث فيمثل التحليلات الإسلامية لهذه الظاهرة ويمثلها الأب المؤسس لعلم الاجتماع ابن خلدون

1) المفكرون الإسلاميون والحراك الاجتماعي : وفي الإسلام هناك نموذجان من

التفسير المعترف به

الأول حركة تقدمية نحو تطبيق الإسلام في الحياة وهذه الحركة تمثل تقدما نحو الطبيعة

الإنسانية

الثاني حركة نكوصية نحو الجشع الإنساني والمصالح دون التزام بالقيم الأخلاقية الإسلامية وهذه حركة نحو عدم التكامل والدمار

ولتجنب التفرقة والتجزئة بين الواقع الاجتماعي فإن الإسلام يسمح ببعض

التكيف والتعديل حسب الظروف المتغيرة وهذا ما يفسر لنا لماذا عرفت الشريعة فقط ماذا

يجب ان نفعل في الثقافة حسب الزمان والمكان المتغير، اكثر من ذلك فإن القانون

الإسلامي يسمح للمجتمع بان يكيف نفسه مع الظروف الجديدة حتى ولو تطلب تعليق حكم

او قانون كان معترفا به فيما سبق وهذا بالإضافة إلى أن الاجتهاد يعد منهاجا مقبولا معترفا

به لتطوير المجتمع الإسلامي لمقابلة التغير الاجتماعي فالمجتمع الإسلامي يجب أن يعمل

طبقا للقيم الإسلامية أو الشريعة وتوجيه المجتمع الإسلامي نحو هذا الاتجاه هي مسؤولية

كل مسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر¹

¹ محمد احمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر، الإسلام والتغيير والأسرة، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2003، ص 125.

ومن الأمور التي أجازها الإسلام للتحرك الاجتماعي للفرد داخل المجتمع ان يعمل ويجد لكي تكون له ملكية خاصة والملكية الخاصة هي الملكية الي يكون صاحبها فردا او مجموعة من الأفراد على سبيل الاشتراك وهي حق أعطاه الله لعموم الناس وحده لعباده في حدود وقيود فالإسلام لا يدع حق الملكية الفردية بلا حدود ولا قيود فهو يقرره ويقرر بجانبه مبادئ أخرى يجعله أداة لتحقيق مصلحة الجماعة بنفس الدرجة التي تتحقق بها مصلحة الفرد المالك سواء والى مقاصد هذه الحقوق والضوابط والغايات أشار أحدهم فقال : فهو شرع وشرع لها لحدود والقيود التي ترسم لصاحبه طرقا معينة في تنميته و إنفاقه وتداوله ومصلحة الجماعة كامنة من وراء ا كله ومصلحة الفرد ذاته كذلك في حدود الأهداف الخلقية التي يقيم الإسلام عليها الحياة¹ ، ومن القيود التي ضبط بها الإسلام الملكية الخاصة

(ا) منع الإضرار بالآخرين : لانه يحرم شرعا الإضرار بملكيات الأفراد المشروعة لان قيود الملكية سواء أكانت ملكية رقبة تامة ام ملكية انتفاع ولا تكون الا ناقصة مقيدة بالا تضر بالغير

(ب) منع أسباب التملك غير المشروع : فحرمت الشريعة الإسلامية الغش والخداع في البيع كما حرمت الربا ، الميسر ، السرقة مما فيه الظلم والاستغلال ويضر بالمجتمع والفرد

(ج) منع الملكية الخاصة في حالات خاصة

- الأموال ذات النفع العام كالمدارس والمستشفيات

- الأموال الموجودة بخلق الله كالكلا والماء

- الأموال التي تؤول ملكيتها الى الدولة من الأفراد او تكون للدولة عليها ولاية

(د) حقوق الجماعة في ملكيات الأفراد يقول السيد قطب : والجماعة هي التي تفيد بعد ذلك من جهده وكده والإسلام يضع القواعد التي تبيح للجماعة هذه الفائدة وتضمن كف الأذى في إطلاق حرية الفرد وتقرير حق الملكية الفردية له ومن حقوق الجماعة في ملك الأفراد

¹ محمد احمد بيومي ، المرجع السابق نفسه ، ص 126

حق الزكاة وهكذا يسعى الإسلام الى تحقيق التكامل والتوازن وذلك بإقرار مبدأ تداول المال وتوزيعه توزيعاً عادلاً¹ و ألا يتكدس المال في أيدي الأغنياء فيطغيهم ويفتح لهم باب كي يستعلوا ويعميهم جمعه عن تقديم الخير للناس ويسعون لذلك بطرق بعضها يكون مشروعاً وبعضها يكون غير مشروع ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: إذا أدت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره (فإنها طهرة تطهرك) أي أن الله تعالى يرضى عنك حين تؤدي زكاة مالك وتحقق بهذا المعنى عبوديتك لله فيهديك الى خير الحياة ويبارك لك في مالك ويطهر نفسك ، اما الفقير فلا شيء يمزق نفسه ألماً وحقداً اكثر من ان يرى الغني يتمتع بلذات الحياة ويجمع في يده المال وهو في حاجة الى ما يقيم حياته ويسخره لقاء اجر قليل لان المال في يده والعمل عنده ، ولكنه اذا وجد الغني يدفع الكثير من ماله نشأت بينهما علاقة الحب والمودة والسعي الحقيقي من كل منهما لأداء ما عليه نحو الآخر بلا حقد ولا كراهية ولا صراع يمزق المجتمع ويقضي على مظاهر التعاون فيه²، من اجل هذا كله كان الله رحيماً بعباده بصيراً بما يسعدهم عندما فرض لهم فريضة الزكاة وحثهم على أدائها ووعدهم على ذلك جزيل الشكر والثواب وهدد الذين يبخلون بأموالهم ولا يخرجون زكاتها³

ومما يبيحه الإسلام لأفراده كي يضمن لهم الحراك في السلم الاجتماعي حرية الملكية الفكرية فالنتاج الفكري أياً كان موضوعه وأياً كان مجاله ان كان مما يأذن الشرع به فلصاحبه حق ما يقرره الشرع في ثمرة جهده الفكري او العلمي وطبيعة هذا الحق يتعين بحسب واقع الجهد الفكري فإن كان واقعه مما يباع ويشترى ككتاب ونحوه تنفذ فيه الحقوق التي يتبعها عقد البيع في محله وان كان واقع الأمر في الجهد الفكري مما ينطبق عليه كعقد الإيجار كاستئجار معلم او مبتكر او خبير ونحو ذلك فتتنفذ فيه أحكام الإجارة وشروطها وأركانها في الإسلام وأما ان كان الأمر في الجهد الفكري مما هو داخل في

¹ بن عاشور صليحة، نظرية التشريع الإسلامي الاقتصادي والقانون ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 9 مارس 2006 جامعة محمد خيضر، بسكرة. ص295

² ابن عاشور صليحة، المرجع السابق نفسه، ص293

³ رفعة فوزي عبد المطلب، الإسلام وحاجة البشرية اليه ، ط1، دار السلام القاهرة، 1986، ص71 72

نطاق الشركة والمصانعة عليه او كان مما يمكن فيه الاستصناع ونحو ذلك تنفذ فيه الشروط الشرعية والأحكام في أي من العقود المشار اليها اذن فالملكية الفكرية من الحقوق المشروعة ومما يمكن ان تملك ملكية مشروعة سواء أكانت الأفكار منفصلة عن صاحبها في حاو من مثل كتاب أو شريط أو اختراع أو علامة تجارية أو تصميم أو نحو ذلك ام لم تكن منفصلة عن صاحبها أي لم تزل أفكارا في نفسه فانفصال الأفكار عن صاحبها أو عدم انفصالها لا يؤثر على حق صاحبها فيها ان على صعيد الحق المادي ام على صعيد الحق الفكري فالإسلام حرم بطر الحق وغمط الناس¹ حقوقهم أيا كانت هذه الحقوق لقوله صلى الله عليه وسلم (الكبر بطر الحق وغمط الناس) وفي رواية (الكبر السفه عن الحق وغمص الناس)²

ومن أهم المفكرين الذين درسوا الحراك الاجتماعي المفكر الإسلامي ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع ولقد كان انطلاقه من مسلمة أساسية مفادها ان الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر على ذلك بقوله ان الإنسان مدني بطبعه ويرى ان من أهم الخصائص التي تميز الاجتماع الإنساني أنها لا تتجمد الى حال من الأحوال بل تختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب وباختلاف الزمان أيضا داخل المجتمع الواحد ويقرر ابن خلدون ان أحوال العالم والأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على مر الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال³

ومن ثم اعتمد على علاقة جدلية بين البدو والحضر والتي تقوم عليها نظرية العمران بأسرها وهي التي جعلته يفكر مليا في كيفية اكتساب الأشخاص او الطوائف للثروة والمال والجاه التي تعتبر مؤشرات هامة للحراك الاجتماعي فحراك الأجيال لا يتم الا طبقا لنمط حياتهم ومعيشتهم ، ويؤسس ابن خلدون هذا الاختلاف على المناطق الجغرافية وما تتحلى به الأرض من جذب وخصوبة وبهذا تختلف حياة الناس وكسبهم

¹ إحسان سمارة، مفهوم حقوق الملكية الفكرية وضوابطها في الإسلام ، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8 ، سبتمبر 200 ، ص 124 ، جامعة محمد خيضر، بسكرة .

² انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 10، ص 490/491 ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 1 ، دار ابن حبان ، ص 367.

³ محمد احمد بيومي، أسس وموضوعات علم الاجتماع ، ط 1 ، دار المعرفة الجامعية مصر ، 2001 ، ص 86

وهنا يبدأ الاختلاف بين البدو والحضر الذي يفسره طبع كل منهما أما الضروري والكمالي عنده فيرتبط بحياة الحرمان والذي يتعدى المحافظة على الحياة اما الكمالي فهو كل ما زاد عن القوت ، فالكمال يشكل حراكا قويا بالنسبة للأشخاص الذين تعودوا على الضروري من العيش والانتقال من البداوة إلى الحضارة ، أن هذا الانتقال الفجائي والانقلاب اللاتدرجي في حياة هؤلاء من شصف العيش إلى قمة التمدن والحضارة ويبرز التناقض بين حياة هؤلاء في البدو و حياتهم في حالة الحضارة والنتائج المترتبة عن التناقض ويقول: " ان النسيان المقصود للبداوة مع وجودهم ينبع من حضارة أوربا الصناعية التي فرضت هذه الازدواجية الجديدة "، اذن حسب تصور ابن خلدون يحتاج البدو الى المدن نظرا لتطوير تقسيم العمل فيها وكثرة المهن واختلافها ، ان أهمية الثروة تبدو في علاقتها بالملك والدولة فهو يشير الى السمة الرئيسية في الحراك الاجتماعي وهذا ما لم يسبق له بقوله ان ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون هي وسط الدولة وهذه الثروة تتجه اتجاها انحنائيا فكما تقوت الدولة كثرت ولم تظهر الاضطرابات على السطح لكن حين يصيب الدولة الاضمحلال فان الثروة تقل لكثرة توزيعها على الموالين والأنصار لبروز الثورات والانتفاضات نتيجة لعدم المساواة في الحظوظ الاجتماعية وللظلم والقهر¹

لقد كان ابن خلدون حذرا في تعميم مقولة الحراك الاجتماعي على كل الفئات الاجتماعية بل رأى النقيض تماما لبعض الفئات ، أي انه طرح مقولة الثبات الاجتماعي فهو يؤكد ان القائمين بأمور الدين تعظم ثروتهم في الغالب وذلك للاحتياج المؤقت لبضاعتهم الفكرية وكذا لانهم لا يخضعون لمؤشر الجاه الذي ذكر في السابق كعامل من عوامل الحراك ، ويضيف ابن خلدون ملاحظته ومعابنته المباشرة لهذه المقالة ويقول (ولقد باحثت بعض الفضلاء فأنكر على ذلك فوقع بيدي أوراق مخرقة من حسابات

¹ عبد العزيز رأس مال ، المرجع السابق نفسه ، ص 23.

الدواوين من دار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت قبيها أوراق الفضلاء و الأئمة و المؤذنين ووقفته عليه و علم منه صحة ما قلته ورجع إليه ¹.
 اما وجهة نظره في الحراك التنازلي فيلخصها في تتبعه الأطوار الملك او الدولة وخاصة في هرمها حيث تفسد الأقوات و النعم على السلطة الحاكمة ثم تبدأ الدولة في الهرم بتلاشي العصبية احتاج صاحب الأمر الى الأعوان و الأنصار لكثرة الخوارج و المارقين و الثوار و انفق خزائنه و حاصله في مهمات الدولة و قلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء و الإنفاق فيقل الخراج و تشتد حاجة الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة و الترف عن الخواص و الحجاب و الكتاب و يتقلص الجاه عنهم و يضيق نطاقه على صاحب الدولة ²

ويبدو ان سعة أفق تفكير ابن خلدون تظهر في معالجة بعض المؤثرات الاقتصادية مثلا الرخص في الأسعار الذي يؤثر على فئات اجتماعية معينة بل يسبب حراكا تنازليا لها فهو يؤثر على التجار فساد سلعهم وفساد رؤوس أموالهم وكذلك يؤثر على المحترفين ببوار أنواع الزرع من فلاح و زراعة و ذلك لقلّة الربح فيها فلا تكثر رؤوس أموالهم بل ينفقون عليها بل يؤثر على الجند لان أرزاقهم تأتي من الدولة وحينما ترخص أسعار الزرع تقل الجباية منه لفساد الحالة لاجتماعية للمحترفين به ، هذا المنطلق يدل على عمق فكر ابن خلدون في العلاقة بين البدو و الحضر و هذا ما يبدي ان هناك علاقة بين الحراك و الهجرة الداخلية أي العلاقة بين صعود فئات و نزولها في السلم الاجتماعي و تلك الهجرة التي تحدث بين الريف و المدينة ³.

ونستفيد من هذا القواعد التي رسمها الإسلام للحراك حيث انه يقر بوجود الفوارق بين الفئات الاجتماعية و يقر بحرية كل فئة في التحرك و الصعود في سلم التدرج الاجتماعي ولكنه يضع لهذه الحرية الضوابط التي تسيروها و تجعلها لا تخل بالهدوء الاجتماعي و السلام ذلك ان هذا الدين قوامه التسامح و التعاطف و التآزر بين أفراد المجتمع

¹ عبد العزيز رأس مال ، المرجع السابق نفسه ، ص 23 .

² المرجع السابق نفسه ، ص 24

³ المرجع السابق نفسه، ص 24 ³

ومن هذه الضوابط التي يضعها المفكرون الإسلاميون لتنظيم عملية الحراك الاجتماعي نذكر :

- أن لا يكون التحرك والتنقل في السلم الاجتماعي على حساب الآخرين .
- أن الغاية لا تبرر الوسيلة مهما بلغت هذه الغاية من السمو فإذا كانت قواعدنا تخل بقواعد الشريعة الإسلامية فهي غير مقبولة

4-2) المدارس الغربية والحراك الاجتماعي

الوضعية ينطلق كونت من مسلمة أساسية هي ان الإنسان لا يشكل البداية إنما هو وريث سابقه لذلك فقد تساءل كثيرا كغيره من المثقفين عن مسيرة التطور الاجتماعي ومكانة الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية الصاعدة فيه وفي هذا التطور الى اين يدفعنا والى أين يتجه بنا تطور الإنسانية¹ وتعتبر الديناميكية الفكرة التصورية الرئيسية لعمليات التطور والتقدم الاجتماعي التي تعتبر جوهر الفكرة النظرية للوظيفية عند كونت حيث يتصور ان الديناميكا تبدأ أولاً بإدارة ومعرفة معدلات النمو والتغير لكن قد يظهر هذا التغير والتطور بصورة نسبية ولا يحدث بصورة فجائية كما رأى ان التطور والتقدم لا يسيران في خط مستقيم كما رأى بعد ذلك العديد من رواد نظريات التقدم الاجتماعي الذين يصنفون في إطار ما يعرف بالنظرية الخطية وخاصة أن كونت تصور بأن للتقدم عوامل و نتائج ومظاهر كما يحدث للتقدم بصورة عامة تذبذبات وتقلبات وذلك بفضل تدخل الإرادة الإنسانية التي بواسطتها يمكن تعديل مسار التغير والتطور ومعدلاته بصورة عامة

كما بلور نظريته السوسيولوجية عند تحليله لفكرة التقدم التي اعتبرها ممثلة في تصوره عن عمليات التغير الديناميكية التي تحدث في المجتمع واطهر ان التقدم يكون فيزيقيا أو أخلاقيا او سياسيا واعتبر ان أهم تقدم هو التقدم العقلي لانه يؤثر عليها كلها ، وهو المسؤول عن التغير في مجريات الأحداث في التاريخ كما ان التاريخ ذاته لا يتغير إلا بمجموعة من الأفكار العقلية إلى مسارات معينة لذا قال : " ان النمو والتقدم

¹ عبد العزيز رأس مال ،المرجع السابق نفسه ، ص28

العقلي يؤدي حتما إلى النمو والتقدم المادي ويكون الدافع الأول نحو تطوره بصورة مستمرة في كافة المراحل والعصور التاريخية ولا سيما في العصر الحديث"¹

وتبرز أهمية كتابات كونت عن التطور والتقدم الاجتماعي لأنها وضعت المعالم الرئيسية الأولى لنظرية التغير الاجتماعي التي تناولها بالدراسة والتحليل العديد من النظريات السوسيولوجية بصورة عامة ، فلقد تناول كونت مشكلات معدلات التقدم او مستويات التغير و دائريته كما ظهر ذلك عند علماء نظرية التغير الاجتماعي المعاصرين وعرض عددا من العوامل التي تلعب دورا أساسيا في زيادة التقدم الاجتماعي²

وتصور كذلك ان الاهتمام بدراسة وتفسير قانون المراحل الثلاث على أسس الفلسفة الوضعية يعتبر مسألة ضرورية وحيوية لان هذا التفسير يرد القانون الى الطبيعة الإنسانية ومعرفتها بسهولة ولا سيما ان التطور والتقدم لا يحدث فقط في المجتمعات البشرية ولكن يحدث في الذات والعقل الإنساني ومن هذا المنطلق عقد كونت مجموعة من الارتباطات التي تفسر عملة التطور والتقدم والمراحل العقلية والمادية وأنماط الوحدات الاجتماعية وأيضا المشاعر والأهداف السائدة والتي يبلورها في قانون المراحل الثلاث الذي يعد من أهم القوانين الاجتماعية التي طورت بعد ذلك العديد من النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة ونظريات التقدم والتغير الاجتماعي كما ترجم كونت أفكاره السوسيولوجية الوضعية من خلال طرحه لمهمة ووظيفة علم الاجتماع واهتماماته من الناحية العلمية والعملية بدراسة المجتمع الواقعي الذي ينقسم الى قسمين رئيسيين هما الاستاتيكا والديناميكا الاجتماعية، ومن ثم يمكن ان نقول ان آراء كونت عن الاستاتيكا والديناميكا تعد بمثابة نظرية عامة عن طبيعة النظام الاجتماعي ذلك النظام الذي يشير بوضوح الى كل من الانسجام والتوازن بين ظروف وواقع الإنسان ونظمه وبنائه في المجتمع كما يتمثل ذلك خاصة في تصوره عن الإستاتيكا الاجتماعية بينما جاءت تصوراته عن الديناميكا الاجتماعية كنظرية سوسيولوجية تبرز عملية التقدم والتغير

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، دار المعرفة الجامعية الازاربية، ط1، 2006، ص137.

² المرجع السابق نفسه، ص138.

الاجتماعي وان كان قد حرص على ان يوضح الحقيقة للنظام الاجتماعي في صورتيه الإستاتيكا والديناميكية من خلال تأكيد على فكرة الأنساق العامة او الارتباط الضروري بين عناصر المجتمع.¹

ومن هنا يظهر لنا كيف نظر كونت الى التحرك الاجتماعي الذي يطرأ على الفئات الاجتماعية عبر العصور فان التحرك عنده مبني على الانتقال من فكرة عقلية الى فكرة أخرى بحيث انه إذا أراد أي فرد من أفراد المجتمع ان يغير من أفكاره فعليه ان يساير الحركة السائدة في المجتمع ولا يخل بالتوازن الذي يسير عليه المجتمع، وهذه نظرة ترى بان الإنسان محكوم عليه ان يبقى في المكان الذي وجد نفسه فيه وان مكانة الفرد في المجتمع مكانة موروثه من مكانة عائلته وكذلك وظيفته الاجتماعية، ومما يؤخذ كذلك على كونت هنا هو نظرتة الى ان المجتمع يجب ان يتحرك بنفس السلم الاجتماعي هو تبريره للتدرج الاجتماعي الموجود محاولاً من وراء ذلك خدمة النمط الاجتماعي السائد في عصره²

اما الرائد الثاني للمدرسة الوضعية دوركايم فلقد ركز على ضرورة زوال التقسيم الطبقي في المجتمع لكن هذا لا يمكن ان يتم عن طريق الثورة الطبقيّة طبقاً للمفهوم الماركسي ورأى ان أحد العوامل الهامة التي تؤثر على زيادة وحدة الصراع الطبقي في المجتمع هي حقوق ميراث الثروة والملكية التي تؤدي بالضرورة الى تكديس الثروة والسيطرة عليها بواسطة مجموعة قليلة من الأفراد او طبقة معينة في المجتمع ولقد أكد دوركايم على ضرورة بناء برامج شاملة للرعاية الاجتماعية وغيرها من الإجراءات الأخرى الكفيلة بتحقيق ظروف الحياة المادية والاجتماعية لطبقة الفقراء ويتم ذلك عن طريق إعادة تنظيم الاقتصاد ولا يمكن ذلك عن طريق وضع الاقتصاد تحت سيطرة الدولة

¹ عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، ص 139

² المرجع السابق نفسه، ص 140

ولقد أكد في إطار نزعتة المحافظة على أهمية الضبط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والأخلاقية والنظام التربوي في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية وهذا ما جاء في تصوراته حول الاشتراكية والشيوعية وعلاقة الدولة بالفرد حيث جاءت أفكاره متممة بالطابع اليوتوبي كما رفض أيضا فكرة الصراع كأسلوب للتغيير والحل الجذري للمشكلات واعتبره مجرد نوع من فقدان اللامعيارية الانومي من ثم يجب ان يوظف الصراع كدافع للتغيير وليس محركا أو قوة إلزامية لحدوث التغيير والإصلاح مما اثر عموما في النظرية البنائية الوظيفية السوسيولوجية¹

ومما يؤخذ عليه هنا هو تعلقه بالجانب المادي من الحراك الاجتماعي دون تطرقه الى الحراك الثقافي ودفاعه عن السلطة محاولا إعفاءها من مسؤولية التدرج الطبقي ورفع المسؤولية عنها في مساعدة المحتاجين والفقراء مبررا ان ذلك يكون سببا في انكالمهم عليها

(ب) **المدرسة التطورية** تنطلق تطورية سبنسر من المقولة الأساسية التطور هو المفهوم الرئيس لفهم العالم ككل ومكانة الإنسان فيه كما أن تفسير الظاهرة يتم من خلال التوازن المتحرك لأنها في حالة تساند مستمر للحركة أي تتبع كل التغيرات والطوارئ الجديدة أثناء تبدل الظاهرة من شكل الى آخر ومن هنا فان العمليات الاجتماعية في المجتمعات الصغيرة تتحرك من حالة البساطة الى حالة التعقيد المنظم²، ولقد استمد هذا المنطلق من تطورية داروين والذي جعل له مبدا هو السياسة الاجتماعية واستمدها من مصدرين هما آراء سميت الاقتصادية والقائمة على عدم تدخل الحكومات في الحركات الثورية والاجتماعية إلا عند الضرورة القصوى وثانيا آراء داروين التي تؤكد على حتمية التغيير عن طريق هيمنة العوامل والقوانين الطبيعية على بقاء واستمرارية الكائنات الحية البشرية وهذا ما تبلور عموما في تصورات سبنسر عندما حرص بشدة على التأكيد ان علم

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه ، ص242 241

² عبد العزيز رأس مال ، المرجع السابق نفسه ، ص29

الاجتماع يجب ان يوضح للبشر عدم تدخلهم في العمليات والقوانين الطبيعية التي تحدث في الواقع الاجتماعي والسبب يرجع الى ذلك الاعتقاد او الافتراض من قبل سبنسر لانه كان مؤمن بان الطبيعة الخارجية تستطيع عن طريق التطور والتغير المستمر ان تتخلص من الأشياء السالبة ولن يبقى فيها الا الاصلح والأقوى من المجتمعات والبشر ، ولقد سعى سبنسر الى ان يربط بين تحليله حول النظم الاجتماعية وما يحدث بالفعل لدى الكائنات الحية محاولا التأكيد على فكرته العامة بانه كلما زادت درجة التعقيد في المجتمع كانت هناك فرص ونتائج أكثر نحو التكامل الاجتماعي ومن ثم فلقد ركز سبنسر على توضيح بعض الحلول التي بموجبها تستطيع الدولة التدخل في الإدارة الاجتماعية بصورة او باخرى كان سبنسر لا يؤمن بضرورة أن الا تتخذ الدولة موقفا سريعا وحاسما للتغيير الاجتماعي الجذري ولهذا كان معاديا لتدابير الحكومة نحو الحد من الفقر اللامساواة مبررا تلك الإجراءات بأنها ضد الطبيعة الإنسانية ذاتها ، علاوة على ذلك استخدم سبنسر مفهوم الشخصية القومية ليشير الى ان كل فرد يجب ان يسعى لتحقيق رفاهيته بمجهوده الذاتي من ثم فان الجهود الفردية والجماعية للرفاهية سوف تكون مساهمة في خلق فروق بين المانحين والمحتاجين كما ان أساسيات الرعاية الاجتماعية في مجملها سوف تهدد من مستوى معيشة الطبقة العاملة لانها الوحيدة التي تدفع الضرائب الحكومية وتمول تلك السياسات ومن ناحية أخرى ان تلك التدابير سوف تشجع على المزيد من الانحرافات والحياة اللاأخلاقية في المجتمع¹

ولقد ابرز تيمان مقولة الآثار الخطيرة للحراك التي تكون بموجبه وجود نموذجين للمجتمع يرتبطان بهذه المقولة هما المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري الأول يقع ضمن إطار ما يسمى نسق صيانة المجتمع داخليا والتعاون فيه اختياري وغاية التنظيم الاجتماعي تهدف الى الزيادة في الإنتاج وتوفير الرفاهية الاقتصادية للمواطنين أي الحراك الاقتصادي والاعتراف بالحقوق الشخصية الحراك الاعتباري وظهور

¹ عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، صص، 188187189

² عبد العزيز رأس مال، المرجع السابق نفسه، ص.30

التنظيمات الطوعية الحرة وبناء طبقي يمتاز بالمرونة بمعنى حراك اجتماعي مفتوح لكن بمواجهة ذلك تفقد المعتقدات الدينية طابعها التدريجي وقوتها المطلقة في المجتمع الثاني: يقع في إطار نسق النظام أي الحماية من الأخطار التي يتعرض إليها المجتمع من الخارج والتعاون إجباري ووجود سلطة مركزية ومستويات عليا للضبط الاجتماعي القائد العسكري يتمتع بقوة مسيطرة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية يخضع فيه الأدنى للأعلى خضوعا تاما ومن ثم فإن الأمل في الحراك الصاعد يكون محدودا¹

ج) السوسيولوجية : ويمثلها سيميل عندما درس الجماعة الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعي والثقافي وتحديده لعديد من أنماط الجماعة والتفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والتي بلورها في إطار تصوراته العامة حول الأشكال الاجتماعية والصورية التي توجد في الواقع ولقد طرح سيميل مجموعة معينة من أنماط الجماعة والعلاقات الاجتماعية التي تصاحبها وهذا ما ظهر في تحديده لما يعرف بالجماعة الثنائية والتي تتكون من شخصين فقط والجماعة الثلاثية التي تتكون من ثلاثة أشخاص وتصور ان الشخص الثالث في الجماعة يكون اكثر فاعلية في أنماط العلاقات والتفاعل داخل الجماعة ومكونات عملية التفاعل بها واعتبر ان الشخص الثالث صاحب التغيير السبي والراديكالي والجوهري داخل بناءات الجماعة وصور علاقتها وأنماط أشكالها كما حاول سيميل أيضا ان يؤكد على ان زيادة العدد في الجماعة هو الذي يعكس تعدد أنماط العلاقة ويفسر طبيعة أشكالها ومضمون ومحتوى أفعالها وبناءاتها ككل².

ويبين ان مجال علم الاجتماع هو دراسة المحتوى كالتناسق والخضوع والتنظيم المتدرج وتقسيم العمل من خلال الصور المختلفة التي تنطوي عليها هذه العلاقات وكذلك يندرج تصوره في فهم المجتمع على ان الظواهر الاجتماعية مستقلة عن مظاهرها الفردية بمثل ما يطرحه دوركايم فالأفراد ليسوا ذواتا اجتماعية ، يؤكد سيميل على علاقات

² عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، ص316

2 عبد العزيز رأس مال المرجع السابق نفسه، ص30

3 عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه ، ص317،

التفاعل التي تتضمنها ظواهر الحياة اليومية مثل نظرة الناس الى بعضهم وكلها آليات تنشط وتائر الحراك الاجتماعي والاعتباري في المجتمع والفكرة التي تثير الإعجاب لدى سيميل هي تلك التي تبين الصور العديدة للعلاقات الاجتماعية كالسمو والدونية والمنافسة وتقسيم العمل وتكوين الأحزاب وهي آليات مهمة للحراك نفسه متشابهة في كل مكان لكنها مشابهة في مضامينها¹

كما ناقش سيميل طبيعة الجماعة وبنائها في ضوء استخدام مفاهيم ومداخل علم النفس الاجتماعي وما يعرف بالمدخل او المنهج التحليلي الهندسي الاجتماعي social geometry method وهذا ما ظهر عندما حلل طبيعة التفاعل بين الجماعة الاجتماعية وخاصة الجماعة ثلاثية الأشخاص والدور الاجتماعي الذي يمكن ان يقوم به هذا الشخص داخل بناءات الجماعة ويقصد بها جماعة الشخصين والتي تحدث بينهما أنماط الصراع وأيضا التنافس والتعاون، ولقد استعمل سيميل بعض المفاهيم السوسولوجية المميزة في تحليله للدور الوظيفي والتفاعلي للشخص الثالث في الجماعة الثلاثية عندما أشار الى طبيعة هذا الدور الذي يؤدي الى نظام الحراك او التنقل الاجتماعي او النظام التسلسلي الذي يحدث داخل بناءات الجماعة²

ان بحوث سيميل عن الصراع والمنافسة والعلاقات الرئاسية ودور الغريب والمدينة الحديثة تبين تلك الخاصية التي تتمتع بها هذه المفاهيم في إطار حركية المجتمع وجدلية التطور فيه وكذا العوائق إلى تعرقل عملية التغير الاجتماعي وتبين عمق دراساته للتفاعل الاجتماعي التي تنعكس في علم الاجتماع الجزئي وحركية الجماعة³

وان كان سيميل يستخدم النماذج المثالية في تحديد العلاقة التطورية والتفاعلية بين مكونات وبناء الجماعة ونوعية تغير الحجم وشكل العلاقات والتفاعل الاجتماعي ونمط الارتباط والتضامن الذي يتغير من الجماعات الصغيرة الى الكبيرة التي يتكون منها

³ عبد العزيز رأس مال، المرجع السابق نفسه، ص31

المجتمع الأكبر كما ناقش أيضا تغيرات العلاقات وأنماط السلطة والحرية التي يتمتع بها الأفراد داخل الجماعات لصغيرة والكبيرة

و أخيرا تكمن كتابات سيمل من خلال تحليله للصراع الذي يحدث بين البناءات الفردية والاجتماعية او ما يظهر فيما يعرف بثقافة الذات الفردية الثقافة الفرعية وكيفية تطور وازدهار الثقافة الموضوعية بعد ان تقلصت الثقافة الفردية و أصبحت في أدنى مستوى لها بالإضافة الى رؤيته السوسيولوجية للصراع الثقافي الذي حدث في المجتمع الحديث نتيجة لمجموعة من عوامل التحديث والتطور والتغير حرص أيضا على مزج هذه التحليلات برؤى فلسفية و سوسيولوجية وهو ما وضح في اهتماماته بنوعية وأنماط الجماعة الفردية والجمعية خلال العصر الحديث ولا سيما تركيزه على وجود نوعين من

الصراع بين حياة اكثر mor life وما اكثر من الحياة mort than life¹

(د) الفيبيرية : حرص فيبر في إطار تحليلاته عن نظرية التغير الاجتماعي على سبيل المثال أن يبين لنا كيفية تطور النظام والمؤسسات والقيم التربوية عبر العصور الى أن وصلت إلى ما هو عليه في العصر الحديث على ان كل بناء سوسيولوجي له طابع احتمالي فان البناءات الاجتماعية تفقد دلالتها مع الوقت ، او قد تختفي ان كان نشاط البشر الذي يتعلق بها يعطيها دلالة أخرى اما تحت ضغط الضرورات او طبقا للمصالح الجديدة او طبقا للتطور التكنولوجي والعقلانية البشرية او قد تحرم من كل دلالة وتندثر²

ان المجتمعات في العصر الحديث الذي يعتمد على العلم والشهادات والخبرة والتخصص وتقسيم العمل لخصائص عامة لظهور المرحلة العلمية العقلانية والتي افرد فيبر تحليلات موسعة عنها عندما ناقش قضية تطور الرأسمالية كنظام اجتماعي عام وشامل فلقد حرص فيبر بأسلوبه ومنهجه التحليلي التاريخي المقارن على ان يناقش قضية تغير التنظيم والمؤسسات التربوية ومحاولا ان يوضح الخصائص والسمات العامة التي

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه 317.

3 عبد العزيز راس مال، المرجع السابق نفسه، ص31

تقوم عليها مقومات الإنتاج البيروقراطي الصناعي وخاصة العنصر او القوى البشرية وكيفية تأهيلها بصورة عقلانية حتى تواكب عمليات التغيير والتحديث والحاجة الماسة الى تطور واستحداث مؤسسات وتنظيمات بيروقراطية لتواكب العصر الحديث¹

أما النشاط المجتمعي فانه عند فيبر حصيله اتفاق ضمني على القانون بين المجتمعات والجمعيات مثلا الجمعيات الرياضية او الخيرية او قدماء المحاربين وهذا النوع من التنظيم يدوم بدوام الأعضاء الذين يجدون منفعة فيه ويضيف ان ارتباطهم بها يتوطد بما تمنحه لهم من ترقية اجتماعية وحراك صاعد لكن الإنسان يجد نفسه في مؤسسة منذ الولادة من خلال التربية او من خلال ظروف الحياة لكنه يخضع لجهاز قهري في هذه البنية أساسه العائلة والمنظمات السياسية والمجموعات مثل القبيلة والمدينة والتنظيمات الدينية ، أما نشاط التجمع فانه يرتبط بسلطة محددة تمارس قهرا على الأعضاء

أما النشاط التفاهمي الذي يحدث صراع خفي ومفتوح ضمن فئات داخل المجموعة العرقية أو المجموعة الوطنية أو في اقتصاد السوق تحدث بين هذه الأنماط الأربعة التي حددها فيبر انتقالات مستمرة فهي ليست مستقلة ومن ثم فان آليات الترقية والصعود والهبوط أو البقاء في مستوى معين تستمر من خلال حركة المجتمع الكلية وداخلها وهذا يبرز من خلال طابع العلاقات الاجتماعية التي لا تأخذ فقط طابعا إيجابيا و إنما لها طابع سلبي أما الصراع فقد يكون عنيفا او يتخذ طابع المنافسة في الحب او لمزاحمة وتكون العلاقة سليمة فقط حيث ان السلم ينقل الصراع على صعيد آخر وحتى المحتوى الدال للعلاقة قد يتغير مع الوقت الى التضامن وقد يتحول بين الشركاء الى منافسة المصالح

ان نظام العلاقات الاجتماعية يبرز من خلال نمطين هما التجمع و التنشئة الأولى: يتحدد بالشعور الذاتي بالانتماء إلى نفس المجموعة وهو ذو نظام تقليدي او عاطفي او عرقي

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه،ص 292

الثاني: يتحدد بالربط بين المصالح من خلال نمط العقلانية المتعلق بالقيم و الأهداف ومن ثم يكشف فيبر عن مظهرين اجتماعيين: القوة والهيمنة الأول: يعني وجود حظ للانتصار داخل العلاقة الاجتماعية والإدارة الخاصة في مواجهة التحديات

الثاني: يعبر عن وجود حظ للعثور على أشخاص مطيعين لامر ذي محتوى محدد وهي أي الهيمنة تتأسس على لعلاقة بين القيادة والطاعة وقد تتعلق بإرادة شخص خارج على التجمع أو جهاز إداري

ان هذين المظهرين الذين طرحهما فيبر بذكاء يعتبران منظمين للحراك الاجتماعي في مجتمع مفتوح او مغلق تتجاذبه عدة أنشطة اجتماعية وللحظوظ دور أساسي في تحديد نوعية الحراك وآفاقه لدى عدد من علماء الاجتماع¹

ان فيبر لا يعتقد بوجود طبقتين اجتماعيتين متخصصتين بل يعتقد ان هناك طبقات تعتمد بالأساس على متغير المهنة

ان هذا التصنيف إنما ينبعث من نظرية فيبر عن الأدوار الاجتماعية ويعتقد فيبر أن التصنيفات الطبقيّة ترجع إلى عوامل متعددة أهمها التربية والتعليم والمهنة والدخل ولقب العائلة وانحدارها الاجتماعي؛ أما الصراع الطبقي فلا يحدث بين الطبقات بالنسبة لفيبر وإنما يحدث بين الأدوار الوظيفية، فان الصراع لا يكون بين الطبقة المتوسطة والطبقة العمالية كما يقول ماركس، وخصوصا وان الحدود الاجتماعية والمادية والنفسية بين الطبقات لست واضحة بسبب عامل الانتقال الاجتماعي وبسبب تحسن الأوضاع الثقافية والمادية والاجتماعية للطبقة العمالية لاسيما بعد شيوع ظواهر التحضر والتصنيع والتنمية الشاملة في المجتمعات الأوربية، ان الصراع الطبقي كما يعتقد فيبر يكون بين أبناء الطبقة الواحدة للوصول الى المراكز القيادية الحساسة ذلك ان العامل لا يستطيع ان يتناقس مع المهندس بسبب الهوة الثقافية والمهنية والاجتماعية والمادية التي بينهما لكنه

¹ عبد العزيز رأسمال، المرجع السابق نفسه، ص 33، 34

يستطيع التنافس مع العامل الآخر للوصول إلى درجة رئيس عمال وهكذا بالنسبة للمهنيين الآخرين¹

ومن الجدير بالذكر ان ماكس فيبر لم يكمل دراساته حول البناء الطبقي في المجتمع بسبب مرضه ثم وفاته فملاحظاته التي تعبر عن أفكاره كانت قليلة وغير متكاملة ، فهو لم يتطرق الى موضوع الانتقال الاجتماعي ولم يربط بين البناء الاجتماعي والبناء الطبقي ولم يعالج فوائد ومضار الطبقيّة ولم يدرس العلاقة المتفاعلة بين البيئة الاجتماعية والطبقيّة ومع هذا فالباحث يستطيع ان يفهم آراء فيبر الطبقيّة من سياق نظريته الاجتماعية التي تتميز بالعلمية والموضوعية والشمولية

(هـ) **بارتو:** تركّز أفكار بارتو السوسيولوجية على فكرتي النسق والتوازن الاجتماعي اللتان تعتبران جوهر القضايا العامة التي يقوم عليها علم الاجتماع عامة ، وسعى من خلالهما لنشر أفكاره حول ضرورة التوازن في المجتمع من اجل استمراره و بقائه وهذا ما يوضح مدى اعتناق بارتو نفسه الأفكار والأيديولوجيات والتصورات المحافظة والتي تندرج عموماً تحت النظريات البنائية الوظيفية الكلاسيكية

وتبرز أفكار بارتو الوظيفية من خلال إشارته الى فكرة اللاتجانس والتمايز الاجتماعي والتي تمثل من الناحية الواقعية أهمية ومكانة فكرة الرواسب الاجتماعية ، ووجد أنها تؤثر كثيراً في النظام او النسق الاجتماعي ، ولقد تبنى بارتو هذه الفكرة انطلاقاً من توجهاته الفكرية والأيدولوجية التي هاجم بها أفكار ماركس دائماً كما هاجمه عندما جعل الغرائز والعواطف هي الأساس في التغيير والتطور وليس العوامل المادية والاقتصادية بصورة عامة ، وفي إطار تحليل بارتو لفكرة اللاتجانس والتمايز الاجتماعي ، ركز على آراء و أفكار النظريات والأيدولوجيات التي نادى أصحابها بالمساواة ، والحرية ، والديمقراطية ، وغيرها من الأفكار التي لن تخفى حقيقة قائمة رواسب محددة تجعل بالفعل هناك أسباب لظهور هذه الأشياء في المجتمع والحياة البشرية عبر العصور التاريخية . فالسبب لوجود اللامساواة ، والحرية والديمقراطية تظهر من خلال وجود

¹إحسان محمد الحسن ، النظريات الاجتماعية المتقدمة ، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2005، ص285 290 291

حقائق أخرى ثابتة أيضا ، وهي التي تفسر سبب وجود اختلافات بين الأفراد من حيث الجسم و القدرات العقلية او الذكاء والخلفية وهذه الخصائص والصفات الجسمية والفيزيقية ، ما هي الا خصائص يتميز بها الجنس البشري عن بعضه البعض وهذا ما يترتب عليه دائما تقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية ، تحرص دائما على تدعيم النظام الطبقي وفكرة اللامساواة الاجتماعية بين الأفراد والطبقات بل بين الشعوب والمجتمعات أيضا¹ ومن هذا المنطلق ركز باريتو عند مناقشته لفكرة اللاتجانس والتمايز الاجتماعي ، على تحليل ومناقشة فكرة الديمقراطية وينتقدها بشدة وبكل ما فيها من أفكار ومعان وتطبيقات وأمثلة لوجودها في الحياة الاجتماعية ككل ؛ كما هاجم بضراوة أصحاب نظريات المساواة حيث أكد على ان سبب اللامساواة في المجتمع منذ القدم يرجع الى الاختلافات العقلية والخلفية والفسولوجية والجسمانية التي توجد بين الجنس البشري . ومن ثم فان التميز و اللامساواة في هذه الأشياء لا بد ان ينتج عنه نظم اجتماعية تقوم على اللامساواة ، والتميز والتقسيم الطبقي وغير ذلك من أمور بديهية يجب ان نلاحظها في المجتمع او الحياة الاجتماعية أينما كانت ومتى ظهرت عبر الزمان والمكان ، ولهذا انتقد باريتو أصحاب نظريات المساواة والديمقراطية والدعوة الى الحرية ووجد ان هؤلاء الناس يسعون الى تقديم تبريرات غير عقلية وغير منطقية ، خلال دعوتهم الى نشر نظرياتهم وخاصة انهم يناقشون قضايا وحقائق أبدية وأزلية وثابتة لا تتغير على الإطلاق . وبالرغم من تأكيد باريتو على هذه الآراء والأفكار وان المجتمع الطبقي أمر محتوم لا بد من وجوده باعتباره يشكل الحقائق الواقعية الثابتة الا أننا نلاحظ في نفس الوقت ان باريتو يؤكد على أهمية ان يكون النسق مفتوحا open system society أمام الطبقات الاجتماعية حتى يحدث ما يسمى بالحراك الاجتماعي social mobility أي يسمح بانتقال الأفراد من الطبقات الدنيا الى الطبقات العليا ومن والى كل من الطبقتين ، ويسمح بحصول أفراد الطبقات على الامتيازات التي تحملها أفراد الطبقات الاجتماعية الجديدة ، وهذا بالفعل ما ناقشه باريتو في دراسته لدائرة الصفوة والتغير الاجتماعي حيث يعتقد ان

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه، ص 352.

المجتمع ينقسم إلى طبقتين اجتماعيتين متخاصمتين هما طبقة النخبة (الصفوة) وطبقة العوام وقسم طبقة النخبة إلى قسمين نخبة حاكمة تشغل مواقع الحكم والمسؤولية ونخبة غير حاكمة تشغل مواقع و أعمال حساسة وبارزة لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها أما طبقة العامة فتتكون من عامة الناس الذين لا يحتلون مواقع اتخاذ القرار والمسؤولية

ويرجع باريتو الحراك إلى رغبة النخبة باحتلال مواقعها القيادية والحفاظ عنها لأطول فترة زمنية ممكنة وعدم إتاحة المجال للعامة بمشاركتهم في القوة والمسؤولية بينما يريد العوام الوثوب إلى مراكز النخبة واحتلالها للسيطرة على زمام الأمور في المجتمع ، غير ان عملية الصراع بين النخبة والعامة تتمخض على نجاح بعض العوام في الوصول إلى مواقع النخبة وسقوط بعض النخبة إلى طبقة العوام فكلا من الأسود (أصحاب الصفوة الحاكمة) والثعالب (أفراد الفئة المحكومة) تتوزع قدراتهم وإمكاناتهم الفكرية والعقلية والجسمانية حسب ما حصلوا عليه من مجموعة الرواسب والغرائز والعواطف التي تجعل البعض منهم اسودا والبعض الآخر ثعالبا . وخاصة ما يتمتع به كل من المجموعتين من حصيلة الرواسب الأولى والثانية حسب تصنيفات باريتو لها فالثعالب تحصل على نسبة اكبر من الرواسب الأولى ، وتكافح بقوة من اجل الحصول على الدعاية والقوة الاقتصادية والمالية والحيل السياسية ، التي تجعلها تحصل على مكانة الصفوة الحاكمة في المراحل المستقبلية، عندما يتيح لها الوقت والفرصة لاحتلال الصفوة الأولى حتى تبدأ دورية الصفوة بين الفئة الحاكمة والمحكومة وهذه الظاهرة يطلق عليها باريتو ظاهرة دورة النخبة ،

ويعتقد باريتو أن أسباب عدم قدرة النخبة في الحفاظ على مراكزها هي :

- 1- تعرض النخبة للكبر
- 2-عدم كفاءة النخبة
- 3-إحالة النخبة للتقاعد
- 4-تعرض النخبة إلى فضائح

5-تعرض النخبة إلى التآمر من قبل العوام

ومن هنا يظهر لنا أن سبب الصراع بين النخبة والعوام يكمن في الرغبة في الحصول على مراكز القوة والحكم وان أطراف الصراع هي النخبة والعوام وان الصراع يقود إلى تحول المجتمع من مجتمع اقل حرية وديمقراطية الى مجتمع اكثر حرية وديمقراطية وإنسانية¹.

وفي الواقع لقد ناقش باريتو دائرة الصفوة circulation of elites في ضوء نظريته العامة عن التغيير الاجتماعي وحدوث اللاتجانس والتمايز الاجتماعي المستمر بين الأفراد والجماعات و الصفوات الحاكمة والمحكومة ، كما ان طبيعة الظروف الاجتماعية والدينية التي توجد في المجتمعات لا يمكن أن تظل كما هي في حالة من الاستقرار الاجتماعي المستمر ، ويمكن أن تلعب هذه الظروف دورا أساسيا في تشكيل الصفوة ودائريتها أو تغييرها بمرور الوقت ؛ ومن هذا المنطلق فان كثيرا من عناصر الفئة الحاكمة أو الصفوة لا تستطيع ان تسمح ظروفها الخاصة ورواسبها او مشتقاتها أن تحتفظ بالقوة والسلطة والهيمنة والمكانة التي تجعلها في مكان الصفوة وفي منزلة (الأسود) ، من ناحية أخرى فان طبيعة الظروف والعوامل المجتمعية والبيئية لن تسمح أيضا بجمود الحالة الاجتماعية واستقرارها كما هي عليه دائما ، نظرا لتغير هذه العوامل والتي تلعب دورا في تغير الصفوات والسماح لفئة الثعالب لان تسعى لتكون اسودا عندما يحين الوقت والفرصة والى حدوث ذلك لتشكل صفوة جديدة ولكن قد يدوم ذلك كثيرا لدائرية عملية الغير ذاتها فسوف تكون الصفوة الجديدة مصدرا من مصادر عدم الاستقرار الاجتماعي كما ان الصفوة السابقة لا يمكن ان تظل كما هي لأنها ستسعى إلى ان تعيد مكانتها وتضع نفسها في مكان الصفوة الأولى في المجتمع أيضا² .

وعموما لقد طرح باريتو أفكاره حول اللاتجانس والتمايز الاجتماعي باعتباره من الأفكار الهامة التي يؤكد على تحليلها علم الاجتماع عند دراسته لاسباب حدوث الظواهر

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه،ص 353.

² عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه، ص353

الاجتماعية واعتبرها ، أيضا جزء من عملية التغيير الاجتماعي . فالنظام الاجتماعي والتغيير الاجتماعي الذي يحدث فيه، يظهر نتيجة مجموعة من الظواهر السيكولوجية والاقتصادية والثقافية المتعددة ولا يمكن قصر عمليات التغيير الاجتماعي على بعض العوامل الأحادية السبب وهذا ما رفضه باريتو بصورة قاطعة كما حرص أيضا على اعتباره عالما اقتصاديا ان يوضح كيفية وجود اللاتجانس والتمايز بين أفراد جماعات المجتمع نتيجة لحصول كل منهما على عل العناصر المادية بصورة متفاوتة في ضوء الفرص المتاحة في الواقع

وهذا ما ناقشه باريتو في دراسته لدائرة الصفوة والتغيير الاجتماعي ، فلقد ركز باريتو على أهمية وشرط وجود للمجتمع مفتوحا ليسمح بالحراك الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية لان ذلك شرطا أساسيا من شروط التقدم والتطور الاجتماعي¹

(و) **تالكوت بارسونز الوظيفية** : يرى ان القيم الاجتماعية أي التوقعات التي يشترك فيها الناس قيما يتعلق بأنسب الوسائل لتحقيق الغايات المرجوة التي يمكن ان تؤثر على الجانب المعرفي عند لفرد من حيث أنها تحدد له مدى الموضوعات التي يدركها وأسلوب الاستجابة له كما انها تؤثر على الفرد من حيث انها تحدد له القيمة النسبية للموضوعات المختلفة وكذلك من حيث انها تفرض عليه شعورا بالمسؤولية عن أفعاله على أساس أثارها السلبية والإيجابية على المجتمع وقد قسم هذه التوجيهات الى (أ) تقديرية (ب) معرفية (ج) أخلاقية ويؤكد بارسونز على ان كون القيم مصدرا لصياغة تماسك النسق الاجتماعي ووحدته من ثم فهي تشكل ضوابط للإنسان وفعله في المجال الاجتماعي من الخارج الا انه يزيد عليها مجرد استيعاب الفاعل للقيم كما انها تتولى ضبطه من الداخل هذا بالإضافة الى انه لا يمنح القيمة دورا مستقرا فقط بل يمنحها دورا ديناميا حيث تعتبر القيمة مولدة للفعل خاصة الفعل المؤسس للنظام الرأسمالي² .

¹ عبد الله محمد عد الرحمان ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، المرجع السابق نفسه،ص 365.

² امانى عزت طولان القرية بين التقليد والحداثة ، دار المعرفة الجامعية ، ط1، 1995، ص 43 44 .

كما يلاحظ على تحليلات بارسونز اهتمامه بفكرة التوازن أولاً عند تحليله للأنساق العامة للفعل الاجتماعي ، وثانياً دراسته للأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي ككل ، فعندما اهتم أولاً بالتوازن داخل مكونات الفعل الاجتماعي حرص على ان يقيم صلة وثيقة او روابط تدعم علاقة الفرد بالعالم الطبيعي الذي يعيش فيه ممثلة في شرط التكيف والنسق الفرعي يشمل مجموعة من المعايير والقيم التي تشكل عالم الفعل ذاته اما شرط تحقيق الهدف فيعتبر مستلزماً ضرورياً لتشكيل نسق الشخصية وخاصة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية و مجموعة نسق المعايير المجتمعية التي عن طريقها يتم صقل الشخصية الفردية وتوازنها في المجتمع ، اما شرط التكامل فيعتبر مطلباً ضرورياً لتحقيق أدوار المكانة status role التي تحدد طبيعة الأشكال والسلوكيات المقبولة للنسق الاجتماعي و أخيراً شرط حفظ النمط يعد من اهم المستلزمات الي يحتاجها النسق الثقافي ويتشكل هذا الشرط من الأفكار والمثل والقيم الاجتماعية التي تنتشر في جميع مكونات النسق الاجتماعي وخاصة لنسق الاجتماعي وخاصة نسق الشخصية ونسق الثقافة¹

ثانياً : اهتم بارسونز بفكرة التوازن عندما حلل علاقة النسق الاجتماعي بأنساقه الفرعية الأخرى (النسق الاقتصادي) (النسق السياسي) (نسق الضبط الاجتماعي) (نسق التنشئة الاجتماعية) وذلك بالطبع عن طريق وجود متطلبات الوظيفية الأربعة وهي (التكيف ، تحقيق الهدف، التكامل ، حفظ النمط) فالنسق الاقتصادي يعتبر من الناحية الوظيفية من الأنساق الفرعية الهامة التي تهدف الى استمرار النسق الاجتماعي الأكبر ، و باعتباره يقوم بدور وظيفي هام كما يعتبر بمثابة عنصر التكيف ويلبي جميع حاجات التنظيم الاجتماعي من العالم الخارجي وهذا ما ينطبق أيضاً على أهمية وجود النسق السياسي كشرط أساسي لتحقيق الهدف داخل النسق الأكبر نظراً لانه يقوم بعملية اتخاذ القرار السياسي وتعبئة الموارد بصورة عامة اما نسق الضبط الاجتماعي او الروابط المجتمعية تعتبر من أهم أنساق التوازن التي تهتم بدراسة مؤسسات الضبط الاجتماعي

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ،النظرية السوسولوجية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة ، مصر ، ط1 ، 2005 ،

المتعددة والتي تقوم بدور وظيفي هام وتهدف إلى تحقيق (التكامل integration) او مستلزم وظيفي للنسق الاجتماعي وحرص على ان يركز على نسق التنشئة الاجتماعية ودورها في تحقيق التوازن داخل مكونات النسق الاجتماعي لأنها تقوم بدور وظيفي عن طريق تعليم الأفراد مجموعة من القيم والمعايير المجتمعية ، ولهذا وصف بارسونز تحقيق وظيفة النسق الفرعي في وجود شرط او مستلزم وظيفي هو المحافظة على النمط وخفض معدلات التوتر¹

كما يعتبر بارسونز تقسيم العمل أساس التماسك العضوي الذي يعني التباين من اجل الإنتاج وتبادل الإنتاج هذا إلى جانب انه اذا كانت هناك بعض ظواهر الانحراف او عدم الاستقرار السائد فان ذلك راجع إلى ان البناء الرأسمالي لم يكتمل بعد وسوف تلغى هذه الصراعات بمجرد نمو واكتمال هذا البناء²، فلقد حرص على ان يعالج فكرة التغير والصراع داخل الأنساق الاجتماعية ، وذلك من خلال معالجته لفكرة التوازن ذاتها فالأنساق الاجتماعية عندما تسعى إلى تحقيق الاستقرار يظهر نوع من التوتر tension او التمرد او الانحراف ولكن كل من الأفراد او الأعضاء في النسق الفرعي يسعى دائما لمقاومة ذلك الانحراف والتوتر ومعالجته بصورة إيجابية وهذا ما ظهر في تحليلات بارسونز لمجموعة من التوجيهات القيمية حيث ينشا الصراع بين محصلة هذه التوجيهات ووجود نوع من لصراع بين الدوافع الذاتية الشخصية ، وهذا ما حاول بارسونز ان يشير إليه من خلال ما يعرف بمتغيرات النمط paterant variable وخاصة الخصوصية في مقابل العمومية ، على سبيل المثال ، كما حاول بارسونز ان يؤكد على ان من مصلحة الأفراد ان يقابلوا التغيير ويسعون للمحافظة على النسق وذلك من اجل تحقيق مصلحتهم الذاتية وهذا ما جاء في تبريرات بارسونز لطبيعة النظام او النسق الاجتماعي السياسي وانتقاده لآراء هوبز بان اعتبرها آراء نفعية لا يمكن أن تقوم عليها مقومات التنظيم

¹ عبد الله محمد عبد الرحمان ، النظرية السوسولوجية المعاصرة ، المرجع السابق نفسه،، ص 41 42 .

² اماني عزت طولان ، المرجع السابق نفسه، ص 44

الاجتماعي المستمر ولهذا طرح بارسونز مجموعة من التوجيهات القيمة value orientation التي توجه الأفراد نحو اعتناق عدد من القيم التي تدعم الاستقرار وتقاوم التغيير والانحراف وتسعى لامتثال النظام العام وبهذا أكد بارسونز ان القيم هي المتغير الأساسي في ضبط المجتمع كما أكد أيضا ان العمليات الأساسية التي تؤدي إلى وحدة المجتمع باعتباره كلا واحدا هي التكامل والتوازن ، ويذهب التفسير الوظيفي كذلك الى ان التدرج ضروري لمجتمع الذي ينطوي على تقسيم للعمل وحيث يظهر التدرج في توزيع المكافآت غير المتكافئة على الأوضاع المهنية المختلفة في المجتمع لكن لماذا لا تتساوى الأوضاع المهنية في المجتمع ؟ ذلك لان بعض الأوضاع اكثر أهمية من الأخرى ويستطيع كل مجتمع ان يؤكد أهمية الوظائف الهامة والحساسة بالنسبة له من خلال شغلها بواسطة الأشخاص الأكثر كفاءة في مقابل مكافآت عالية ، ومن المفترض ان الأوضاع التي تحظى بأعلى المكافآت سوف تكون موضع تنافس بين أولئك الذين يسعون لشغلها سواء كانوا أكفاء او غير أكفاء من ذا الذي سوف يفوز بهذه الأوضاع الوظيفية ان الفائزين بشكل عام هم أكثر المتنافسين قدرة وتأهيلا ومن ثم فان المكافآت غير المتساوية هي المسألة الضرورية واللازمة لحصر الأشخاص الأكفاء على شغل الوظائف الهامة وفي المجتمع تعتمد على التحديد الاجتماعي للوظائف ، تكون المكافآت غير المتساوية ضرورية لحصر هؤلاء الأشخاص المكافئين بشغل الوظائف الهامة على حسن أداء واجباته وبهذا فقد حاول ان يبني نظرية مماثلة أطلق عليها نظرية بدائل النمط حيث سعى جاهدا من خلال هذه النظرية الى تفسير النقلة الثقافية للمجتمعات المتخلفة من التخلف إلى التقدم وترتكز هذه النظرية على خمس متغيرات رئيسية حيث تتحول المجتمعات من الاعتماد على المراكز على أساس العلاقات والإعارات الشخصية والعائلية الى قياسها على أساس الإنجاز من سيادة الخصوصية إلى سيادة وسيطرة القانون والعمومية ومن السيادة العاطفية الى

العقلانية ومن عدم التخصص الى التخصص الوظيفي ومن التمثل إلي التغير الاجتماعي¹

لقد اختزلت نظرية بارسونز عملية التحول الاجتماعي الى مجرد تكيف آلي مع ضغوط داخلية وخارجية والنظرية على هذا النحو لا تفسح مجالاً للعمل السياسي الواعي والنضال الاجتماعي الفعال من اجل أحداث هذا التحول وربما كان ذلك هو السبب في ظهور تلك السيولة النقدية على الوظيفية بسبب تجاهلها الصراع في أحداث التغيير والتماسك على السواء ولزاما علينا ان نشير إلى ان بارسونز لم ينكر على الإطلاق الوجود الفعلي للصراع ففي سنة 1949 كتب يقول الصراع الطبقي حقيقة قائمة في الولايات المتحدة الأمريكية لكنه ما لبث ان أضاف قائلاً غير أنني اعتقد ان الصراع الطبقي لا يمثل السمة الأساسية للتدرج الاجتماعي في المجتمعات الصناعية الغربية ذلك لان هذا التدرج يؤدي دوراً تكاملياً داخل الأنساق الاجتماعية ولقد قصد بذلك بارسونز توضيح حقيقته التي طالما أكدها في كتاباته وهي ان كل مجتمع متقدم يضم في داخله عناصر هامة تؤدي الى صراعات وتوترات داخلية غير ان الإطار الذي يضم هذه القضية هو إطار محافظ إلى ابعد الحدود اذن يبدو الصراع وكأنه مجرد خلل طارئ يطرأ على أساليب الضبط الاجتماعي والتكامل المعياري وان الصراع يمثل ظرفاً شاذاً انحرافياً

(ز) التيار الماركسي: يستهل ماركس وانجلز البيان الشيوعي بموقفهما الواضح من مقولة الحراك الاجتماعي قولهما ان تاريخ الشعوب الى يومنا هذا هو تاريخ صراع الطبقات² فلقد ركزا على قضية الصراع الطبقي بين الطبقة الرأسمالية و الطبقة البرجوازية في المجتمعات الرأسمالية الحديثة بقولهما السابق قد أشارا الى ان قضية الصراع قضية أزلية موجودة منذ القدم في كل المجتمعات البشرية حيث كانت تنقسم هذه المجتمعات بصفة مستمرة الى طبقة تملك وأخرى لا تملك ومن ثم لا تختلف طبيعة المجتمعات

¹ محمد صبحي قنوص ، أزمة التنمية في المجتمع العربي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا، ط 1 ، 1992 ، ص 22 .

² عبد العزيز راس مال، المرجع السابق نفسه، ص 34 ²

الرأسمالية الحديثة عن أي نوع من المجتمعات السابقة عليها لكن تتميز المجتمعات الرأسمالية الحديثة عن تلك المجتمعات بما تملكه طبقة البرجوازية الرأسمالية وسيطرتها على جميع وسائل الإنتاج وعلى الرغم من ذلك تصور ماركس ان هذه الطبقة لم تعد قادرة على أحكام سيطرتها الاقتصادية والسياسية على أدوات وقوى الإنتاج ولم تعد لديها الكفاية اللازمة لتطور الإنتاج بالرغم من نشاتها لظاهرة السوق العالمية وخصائصه الاحتكارية كل تلك العوامل سوف تعجل بانهيار المجتمع الرأسمالي بالإضافة الى عدم اهتمامها أساسا بقضية توزيع الدخل بين الطبقات الاجتماعية على أساس المساواة والعدالة الاجتماعية بين الجميع وهكذا سوف يكون الطريق مفتوحا لقيام الثورة العمالية والتي تتميز عن غيرها من الثورات الماضية بأنها ليست ثورة أقلية ضد أخرى بل ثورة أغلبية محرومة ضد أقلية مالكة مسيطرة على كل شيء في المجتمع¹

هذه المسئلة في الفكر الماركسي يبني عليها التحليل بأسره فلا ينبغي انتظار وجهة نظر أخرى لا تتفق مع اتجاهها العلمي والنظري ثم يضيف ماركس وانجلز ان هناك على مر كل العصور أحرارا وعبدا أسيادا وعمامة ، إقطاعيا وقنا ،سييدا في ورشة وعريفا أي أسيادا ومسودين ؛ ويمكن ان نتعدى هذا الإشكال بالتطرق إلى مؤشرات أساسية نلاحظ فيها ما يسمى بالحراك الاجتماعي

أولها دور الاغتراب الاجتماعي : نقل ماركس الاغتراب من شكله الطبيعي الى شكله الاجتماعي وقد اخذ مفهوم الغربة او الاستلاب مفهوم محدود وحصره بحياة الإنسان الاجتماعية في مرحلة واحدة هي المرحلة البرجوازية وشخصه بحالتي العامل والرأسمالي

فاصبح العامل بمثابة سلعة او اصبح العامل شيئا يستعمله الرأسمالي كيفما يشاء يبيعه ويشتره ، يسوقه ويستثمره وهذا ما له آثار سلبية على العامل نذكر منها

أولا : يغترب العامل عن ناتج عمله بفعل الملكية الخاصة

ثانيا : يفقد العامل شخصيته ويتحول الى قوة عمل مثل السلعة

¹ عبد الله محمد عبد الرحمن ، النظرية السوسولوجية الكلاسيكية ، المرجع السابق نفسه،، ص 398

ثالثا: يفقد الإنسان علويته ويصبح اعتباره الاجتماعي منحطا
 إذن فالمال هو الاغتراب في شكله المطلق يشوه كل ما هو إنساني وطبيعي فهو عامل
 مهم في الحراك الصناعي بالنسبة للرأسمالي وعامل بؤس وفاقة بالنسبة للعامل.
 ان التناقض القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هو في حد ذاته السبب الأول
 الذي يظهر الصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي بين طبقتين هما البرجوازية
 الرأسمالية وطبقة البروليتاريا العمالية فالأولى تحاول بكل الطرق ان تحتفظ بالملكية
 الخاصة و وسائل الإنتاج ومقاييس التوزيع للدخل القومي والثانية تكون في حالة صراع
 مستمر مع الطبقة الأولى ولكن تتميز طبقة البروليتاريا بأنها طبقة مستمرة ثورية متقدمة
 تسعى إلى التنظيم الاجتماعي الجديد في المجتمع الشيوعي ذلك المجتمع الذي يتميز بدوره
 عن المجتمع الرأسمالي لانه يسعى بصفة مستمرة لتطوير علاقات الإنتاج من اجل
 الأغلبية من الأفراد وتوزيع الدخل القومي بصورة عادلة بين الطبقات دون استثناء¹

واستخدم ماركس في سبيل إثبات نظريته في الفعل الاجتماعي او الفعل الثوري
 نموذجا بسيطا جدا يمكن ان نسميه بالمذهب الآلي الرشيد حيث افترض ماركس ان الأفراد
 لهم أهداف أساسية يسعون لتحقيقها ويستغلون كل الفرص المتاحة لمتابعتها ، هذا ويرى
 ماركس ان الأفراد يتحركون نحو تحقيق غاياتهم بطريقة آلية وان لم ينكر في نفس الوقت
 ان للأفراد حاجات عاطفية وقيمة محددة الا انه يرى ان اتجاه التعبير العاطفي للأغراض
 الاجتماعية محكوم عليه بالفشل من خلال الممارسات العملية من قبل بعض الأفراد
 المؤثرين على المشاعر والأحاسيس الاجتماعية كما ان القيم هي الأخرى تعبر في بعض
 الأحيان عن الطبقة التي تسيطر بنفوذها على المجتمع .²

ويرى ماركس بان التفاعل يجب ان يتخذ - وخصوصا في المجتمعات الرأسمالية -
 أساليب ثورية حتى تتحقق مصالح الطبقة المقهورة التي طالما استغلت من طرف بعض
 أجزاء النسق الاجتماعي ويضيف ماركس ان تلك الأساليب الثورية هي الوسيلة الوحيدة

¹ عبد العزيز رأسمال ، المرجع السابق نفسه،، ص 35

² اماني عزت طولان ، ، المرجع السابق نفسه،ص28 .

القادرة على ان تمكن تلك الطبقة المقهورة من الغلبة ثم السيطرة حيث يقول : (ونظرا لان ثم تباينا حقيقيا وأساسيا بين المصالح الاقتصادية والمميزات الاجتماعية لكل من الطبقة المالكة والطبقة العاملة وحيث ان ثم استغلال من الأولى للثانية فان صراعا حتميا وضروريا لابد ان ينشب بين الطبقة المستغلة والطبقة التي يقع عليها عبء الاستغلال ولا بد ان ينتهي هذا الصراع بانتصار إحدى هاتين الطبقتين على الأخرى او اندثارهما معا ذلك ان كل طبقة من هاتين الطبقتين تحمل داخلها إمكانية تحولها الى جماعة سياسية تعي مصالحها وتتناضل من اجلها¹ فان الطبقة الحاكمة المسيطرة قد كونت بالفعل النظم التي بواسطتها تستطيع ان تدعم مصالحها الاقتصادية وتحافظ عليها وحينما يعي افراد الطبقة المقهورة أنفسهم بوضعهم جماعة ذات مصالح مشتركة نابعة من موقف اقتصادي واحد فانهم سوف ينظمون أنفسهم بالضرورة ويعرف هذا الوعي في المفهوم الماركسي بالوعي الطبقي ومن ثم تتحول الطبقة المقهورة من طبقة موجودة موضوعيا (طبقة في ذاتها) الى طبقة ذات وجود ذاتي واع (طبقة لذاتها)² كما ان هذا الصراع ليس أمرا عارضا او موقوتا بل هو ظاهرة تاريخية عايشها المجتمع الإنساني من قديم وسيظل يعايشها طالما ظل هناك تمايز وتفاضل طبقي في المجتمع .

لقد نظر ماركس إلى المجتمعات على أنها تمثل بناءات مستغلة بذاتها كل منها يتطور في ضوء قواه الداخلية المعينة بذلك نجد ان التغيير عند ما يتوقف على صراع دائم بين درجة تطور قوى الإنتاج من ناحية وعلاقة الإنتاج من ناحية أخرى ومن ثم فان الطبقات الاجتماعية وخاصة البروليتاربا تمثل وسيلة التنمية او التطور الاجتماعي الاقتصادي وبهذا تكون المحرك القوي للدولاب الاجتماعي والممثل البارز في مسلسل الحراك الاجتماعي داخل المجتمع .

¹ السيد عبد الحليم الزيات ، البناء الطبقي الاجتماعي مدخل نظري ودراسة سوسيوتاريخية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط 1 ، 2003 ، ص 26 .

² محمود عودة أسس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط 1 ، 1998 ، ص 212 .